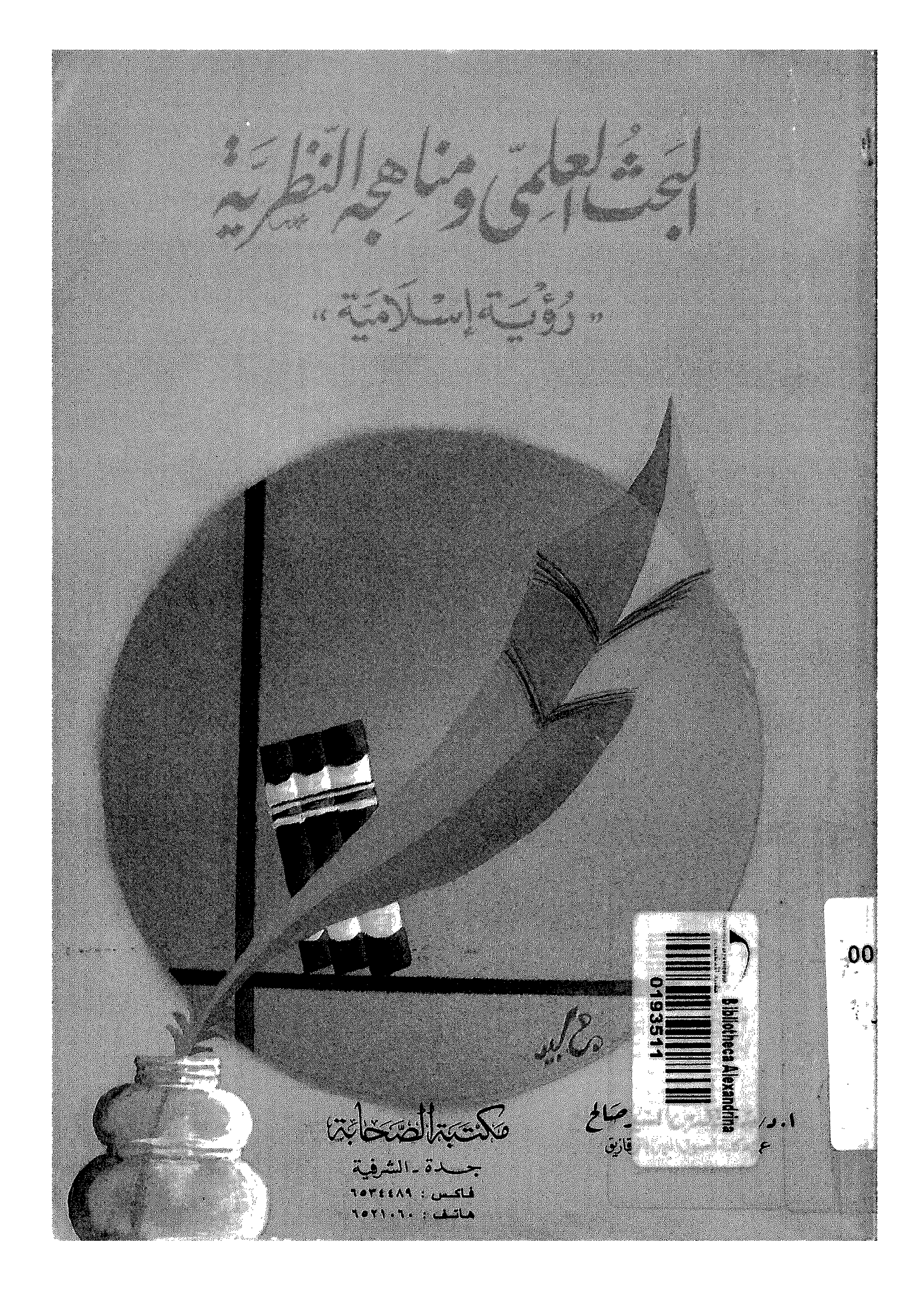

البحث العلمي ومناهجه النظرية
« رؤية إسلامية »
مكتبة الصحابة
جدة - الشرقية
فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩
هاتف : ٦٥٢١٠٦٠
Bibliotheca Alexandrina
0193511

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

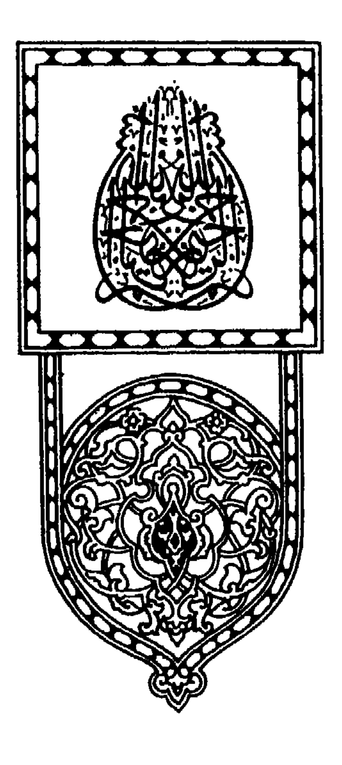
القاهرة

البحث العلمي ومناهجه النظرية

« رؤية إسلامية »

تأليف
أ . د سعد الدين السيد صالح
رئيس قسم العقيدة وعميد
كلية أصول الدين
جامعة الأزهر
بالزقازيق

مكتبة الصحابة
جدة - الشرفية
فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠



الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

مكتبة الصحابة

جـدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩

هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

مكتبة التابعين

القاهرة - شارع سليم الأول

ت وفاكس :- ٢٤٢٧١٤٤

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على من فجر في البشرية طاقات العلم والعقل ، فكانت معجزته عقلية علمية بيانية .

وبعد :

فإن علم مناهج البحث اليوم ، ليعد من أهم العلوم التي تلعب أخطر الأدوار في تاريخ الأمم ، فما وصلت الحضارة الحديثة إلى ما وصلت إليه من أسباب التقدم المادي إلا بفضل الدراسات المنهجية والأبحاث التخصصية الدقيقة القائمة على أسس علمية سليمة .

ولقد استمر الفكر الإنساني ردحًا من الزمن ــ قبل الإسلام ــ متداخلاً مشوشًا غائمًا، وقد كانت كلمة فلسفة تشمل كل ما يمت إلى العلم والمعرفة بصلة حتى أن أرسطوطاليس ــ أكبر فلاسفة اليونان ــ وضع تصنيفًا للفلسفة جعله شاملاً لكل العلوم من طبيعة وكيمياء ورياضة واتصاد وعلم النفس ، فضلاً عن سائر فروع المعرفة النظرية والمباحث الميتافيزيقية . وهكذا كانت كل العلوم تدرس تحت عنوان واحد هو الفلسفة وكان الفيلسوف كشكولاً كاملاً في كل فرع من المعرفة ففي الوقت الذي كان يحلق فيه الفلاسفة في سماء الميتافيزيقا والروح والعقل كانوا يبحثون أيضًا في الطبيعة والفلك والسياسة والاجتماع وغير ذلك .

هذا لا شك أمر طيب فجميل أن يلم الإنسان إلمامًا عامًا بسائر فروع المعرفة ، ولكن أنى له بذلك اليوم ؟ وإذا كان هناك أفراد معدودون ــ في تاريخ المعرفة ــ قد حققوا هذه الغاية ، فإنه ليس في إمكان كل عالم أن يحققها اليوم .

ذلك أن السابقين قد درسوا العلم لذاته وتفرغوا له وساعدهم على ذلك تقدير الحكام واهتمامهم بهم .

أما عالم اليوم فهو مشغول بطلب العيش من خلال علمه وأبحاثه ، فهو لا يدرسه لذاته ، بل لما يترتب عليه من منافع وفوائد مادية تساعده على العيش الكريم .

هذا من جهة ، ومن جهة ثانية أن الإلمام العام بسائر فروع المعرفة لا يمكن الإنسان من التخصص الدقيق الذي يمكنه من اكتناه أسرار العلوم ، فيحاول الترقي بها وإضافة الجديد إليها .

وبمعنى أوضح فمطلوب من الإنسان أن يعرف شيئًا عن سائر فروع المعرفة بصفة عامة، ثم يتعرف على الأسس العامة للعلوم القريبة من تخصصه خصوصًا وقد أصبح من مميزات

العلوم في هذا العصر الانشطار المستمر بحيث أصبح من الصعب على الباحث أن يلم بجميع فروع المعرفة بنفس الدرجة من الوضوح .

وواجب على الإنسان بعد ذلك أن يعرف كل شيء عن فرع من هذه الفروع ، وهذا ما يسمى بالتخصص الدقيق ، ولقد جاء القرآن الكريم محققًا لهذه الغاية ، حيث أشار إلى مناهج البحث في العلوم ، وحدد لكل موضوع من موضوعات المعرفة ما يناسبه من المناهج، وبهذا كان القرآن الكريم بحق هو أول كتاب سماوي يساعد على تقدم المعرفة وتطورها ، ولقد سار مفكرو الإسلام على منهجه ، فوضعوا الأسس واللبنات الأساسية في بناء (علم مناهج البحث) الذي تعلمه فلاسفة أوربا على يد المسلمين فبنوا عليه حضارتهم ووصلوا إلى ما صلوا إليه اليوم .

ومن هنا تبدو أهمية هذا العلم ، فإذا كانت المجتمعات الإسلامية الحديثة تريد أن تنهض من كبوتها فعليها أن تستعيد أمجاد الآباء الأولين الذي قدروا هذا العلم حق قدرة ، فوصلوا من خلاله إلى كثير من النظريات العلمية الراقية التي كانت سببًا في تقدم الحضارة الأوربية الحديثة .

وإذا كنا نتطلع اليوم إلى تقليد الغربيين في الاهتمام بهذا العلم ، فإننا لا نفعل شيئًا أكثر من استرداد الأصول التي تعلموها منا سابقًا إلا أنهم ساروا في الشوط إلى نهايته ووقفنا نحن عند بداية الطريق ، مكتفين باجترار أمجاد الماضي ، قانعين ي

قول الشاعر :

هؤلاء آبائي فجئني بمثلهم * إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومن هنا كان لا بد من اهتمام المسلمين بهذا العلم من جديد ، ولا بد أن يتربى أبناء المسلمين على مبادئه وأصوله ، ذلك أن تطوير المجتمعات الإسلامية وبنائها وتقدمها لا يمكن أن يكون من خلال طرق التعليم الروتينية التي تدور في مدارسنا وجامعتنا اليوم وإنما لابد من تكوين الطالب تكوينًا يمكنه من الحكم الشخصي والرأي المستقل ، ويجعله يشارك في اكتشاف المعلومات بدلاً من تلقينها وحفظها ، ولا شك أن الوسيلة التي تمكنه من ذلك هي أصول البحث العلمي ومناهجه ؛ فلقد قال علماء النفس والتربية إن هدف التعليم ليس هو أن نلقنه كل معرفة ، وإنما هو أن تمكنه من وسائل تحصيل المعرفة بنفسه .

يقول (جان جاك رسو) : « إننا لا نريد أن نخلق إنسانًا معتلمًا ولكننا نريد أن نخلق إنسانًا قابلاً لأن يتعلم » .

وقال (سنيكا) الروماني : « لسنا أمام قربة نملؤها ، وإنما أمام موقد علينا أن نلهبه»[1].

---

(١) صلاح عبد القادر البكري ـ القرآن وبناء الإنسان ص (٦٥) جدة ١٩٨٢ م .

وهكذا فالمهم في عملية التعليم ليست هي أن نحشوا ذهن الطالب بالمعلومات، وإنما يجب علينا أن نملكه أولاً وسائل الحصول على المعلومات ، وذلك لا يتأتي إلا بتعويد الطالب على البحث والتنقيب والاستقراء والملاحظة ولعل المثل الصيني القديم يعبر عن هذا المعنى حين يقول :

إنك إذا أعطيت المرء سمكة تغذى بها مرة واحدة ، ولكن إذا علمته صيد السمك بنفسه تغذى كل أيام حياته » (١) فما قيمة أن نحشو أذهان الطلاب بعشرات العلوم في مختلف مراحل التعليم ، ثم يخرجون إلى حياة وقد نسوا كل شيء ، أما حين نعطيهم منهج اقتناص المعرفة ، فإننا بذلك نحقق لهم ما يسمى بالتعليم الذاتي .

« وإذا كان الطالب التعليمي اليوم هو محور العملية التعليمية كلها ، فإن التحدي الذي يواجه هذه العملية ، هو كيفية إطلاق الطاقات الخلاقة والإبداعية لدى كل طالب حسب قدراته وميوله واهتماماته ، وفي كيفية قيام الطالب بدور أكثر إيجابية في عملية التعليم الذاتي ، وحل المشكلات والوصول إلى الحلول والحقائق بنفسه »(٢) . ومن هنا فواجب الجامعات اليوم أن تهتم بهذا العلم ، وأن تعممه على جميع المستويات التعليمية ، فالجامعات الغربية تتلقف الطالب منذ اليوم الأول لدخوله الجامعة ، ثم تعطيه قدراً كافيًا من المعلومات عن المكتبة وأقسامها وكيفية استخدامها ، ثم تعطيه مجموعة من المقررات في علم مناهج البحث على اختلاف المراحل التعليمية .

ذلك أن تقدم البحوث العلمية رهين بالمنهج العلمي السليم فإن استقام المنهج تقدمت البحوث ووصلت إلى النتائج الهامة ، ومن هنا كان لابد لطالب العلم أن يلم بطرق إجراء البحوث ووسائل جمع المادة العلمية ، وتحليلها وتفسيرها بقصد الوصول إلى حلول للمشكلات التي تعترض طريق الحياة (٣).

بين منهج ومنهج :

هناك العشرات من الكتب التي عالجت علم مناهج البحث إلا أننا نختلف مع طريقة هذه الكتب والأسلوب الذي عالجت به مباحث هذا العلم ، ومن هنا فقد لاحظنا على معظم ما كتب تحت عنوان (مناهج البحث العلمي) الملاحظات التالية:

---

(١) قارن ص (١٤٤) من كتاب (أصول البحث العلمي ومناهجه) د . أحمد بدر .

(٢) المرجع السابق ص (١٢٣) .

(٣) راجع ص (٢) من (مناهج البحث في التربية وعلم النفس) د . جابر عبد الحميد ، ود . خيري كاظم ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ م .

أولاً : أن هذه الكتب لا تكفي لصياغة العقلية الإسلامية الصياغة التي نريدها في عصر اليقظة الإسلامية الذي نعيشه اليوم .

ذلك أن الذين كتبوا في هذا العلم لم يحاولوا أن يرتدوا به إلى منابعه الأصلية في الفكر الإسلامي من خلال الكتاب والسنة وما كتبه علماء الإسلام قديمًا ، ولكنهم اعتبروه علمًا غربيًا في نشأته وفي أسسه وفي موضوعاته ، وأغفلوا عن عمد أو جهل إبراز السبق الإسلامي لهذا العلم ، وبذلك انسلخوا من ماضيهم ومن تراثهم وراحوا يكتبون في هذا العلم اعتمادًا على الفكر الغربي وحده مدعين بأن هذا العلم هو ابتكار خالص لمفكري الغرب النصراني .

ثانيًا : أن هؤلاء الكتاب حين اعتمدوا على الكتب الغربية وحدها والتي اكتفوا بترجمتها ونقلها بصورة أو بأخرى ، بل وبما فيها من أخطاء نابعة من حضارة مادية بحتة لا تلائم حضارتنا الإسلامية ، أقول حين اكتفوا بذلك وأخذوا كلام الغربين في مفهوم العلم وأسسه ومسلماته وأهدافه مأخذ التسليم وقعوا في كثير من الأخطاء ، وهم الذين مللنا من ترداد كلامهم على أن الباحث ينبغي عليه ألا يأخذ بكلام غيره مأخذ التسليم ، وإنما عليه أن يوجه نظراته الناقدة والفاحصة إلى كل ما يقرأ ويسمع، ولكن هؤلاء آمنوا وسلموا بكل ما نقلوه من الغربيين في موضوعات هذا العلم .

ثالثًا : أن كثيراً من هذه الكتب جعلت من نفسها منبراً للدعوة إلى الإلحاد ومن طرف خفي أحيانًا متمسكة بالمنهج التجريبي والحسي غاضة الطرف عن المناهج العقلية والمنطقية التي تفصل ما يعجز عنه المنهج التجريبي .

وهذا ما دفعني إلى الكتابة في هذا العلم بمنهج جديد تتمثل خصائصه فيما يأتي :

أولاً : التأصيل الإسلامي لهذا العلم ، فقد حاولت أن أسير مع كل فكرة من أفكاره ومع كل موضوع من موضوعاته لكي أؤسس له تأسيسًا إسلاميًا نابعًا من ثقافتنا وحضارتنا وهذا في نظري هو المنهج الملائم لصياغة العقلية الإسلامية الصياغة المطلوبة اليوم حيث تتقدم إلى الأمام وهي مرتكزة على تراثها العلمي الرائد متميزة في نظرتها إلى الكون والحياة مستقلة في منهجها المستمد من منهج الله وهداه .

ثانيًا : لم اكتف بدور المشاهد أو العارض فقط لمواضيع هذا العلم ومسلماته ، وإنما وقفت عند كل نقطة من نقاطه الأساسية والحساسة وقفة متعقلة متأنية تستكشف أخطاء السابقين وتصححها .

ثالثًا : حاولت أن أقوم بعملية توازن بين المناهج بحيث تكمل بعضها ، ويقوم كل منهج منها بإثبات ما يعجز عنه المنهج الآخر .

وبمعنى أوضح حاولت أن أبين مدى صدق وموضوعية المنهج التجريبي وحدوده حتى نضيع الفرصة على الدعاة إلى الإلحاد من خلال تقويمهم لهذا المنهج حيث أعطوه الصلاحية الكاملة للفصل في كل موضوعات المعرفة ، وبهذا المنهج يكون هذا العلم داعيًا من دعاة الإيمان لا الإلحاد . فهو يدفع الباحث إلى ملاحظة الظواهر ودخول المعمل والمختبر ، ولكنه في الوقت ذاته يطلب منه أن يشكر الله الذي وضع هذه السنن الكونية ، ومكن الإنسان من التحكم في بعض الظواهر وتسخير الكون لصالحه .

وبعد هذه المقدمة التي تحدثنا فيها عن أهمية هذا العلم وضرورة الاهتمام به ، ووضحنا مناهج الذين كتبوا فيه من قبل وحددنا الأخطاء التي وقعوا فيها وأشرنا إلى منهجنا العام في تناول موضوعات هذا العلم ، نحاول أن نتحدث عن المنهج التفصيلي والخطة الواضحة التي سنسير عليها في الكتابة ، وقد قسمت هذا البحث إلى خمسة فصول :

تحدثت في **الفصل الأول** : عن مفهوم البحث العلمي وأهدافه ومنابعه ومسلماته وفوائده.

وقد نبهت على كثير من الأخطاء والتجاوزات التي وقع فيها الغربيون ومن سار علي نهجهم من الكتاب العرب في مفهوم العلم وأهدافه ، كما وضحت المفاهيم الصحيحة لهذه الموضوعات في ضوء التراث الإسلامي الأصيل النابع من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والذي صاغ شخصية المسلم صياغة مستقلة ، فهو ليس إمعة ينعق وراء كل ناعق ، وإنما هو إنسان مفكر عاقل مستقل يزن الأفكار والأقوال بميزان حساس .

* وفي **الفصل الثاني** : تحدثت عن تاريخ علم المناهج قديمًا وحديثًا ونبهت على الخطأ الذي وقع فيه كثير ممن أرخوا لهذا العلم حيث اعتبروه ابتكارًا غربيًا دون أن يعودوا إلى التراث الإسلامي الذاخر بالسبق والأصالة لهذا العلم .

* وأما في **الفصل الثالث** : فقد تحدثت عن أنواع البحوث العلمية على اختلاف مناهجها وأقسامها ووضحت الفرق بينها .

* وأما **الفصل الرابع**: فقد تحدثت فيه عن صفات الباحث في ضوء القرآن الكريم .

* وفي **الفصل الخامس** : تحدثت عن مراحل إعداد خطوات الأبحاث النظرية ، ومع أن كل من كتبوا في هذا البحث قد اتفقوا علي خطوات معينة ، لأنه فيما يبدو أن الكثير

منهم ينقل عن مراجع أجنبية واحدة ، ولكنني سوف أكتب في هذا البحث تجربتي الخاصة في إعداد البحوث وقد اختلف معهم في التفاصيل ومنها منهج ترتيب هذه المراحل فضلاً عن التطبيق الواقعي لكثير من النقاط .

والحمد لله أولاً وأخيراً والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

المؤلف
د . سعد الدين السيد صالح
السعودية ــ تبوك
في فبراير سنة ١٩٨٧ م
جمادي الآخر ١٤٠٧ هـ

الفصل الأول

مفهوم البحث العلمي وأهدافه وأسسه

سوف نحاول أن نعالج في هذا الفصل عدداً من المفاهيم الأساسية في علم مناهج البحث العلمي وهي :

مفهوم : المنهج ، والبحث ، والعلم ، وأهداف العلم ، ومسلماته وأسسه ، ثم نتحدث عن منابع البحث العلمي ، وأهميته وفوائده .

ومنهجنا في معالجة هذه الأمور هو المنهج النقدي الذي يجعلنا نعرض هذه المفاهيم عرضاً أميناً من خلال الفكر الغربي سواء بالأصالة أو التبعية ، ثم نقوم هذا الفكر ونبين ما فيه من أخطاء ، وبعد هذا نضع المفهوم السليم الذي نرتضيه من خلال المنطق السليم والفكر الإسلامي الأصيل .

وسوف نبدأ بتحديد مصطلحات ثلاثة وهي :

* المنهج .
* البحث .
* العلم .

نوضح مفهوم كل مصطلح على حدة ثم نبين المعنى العام لها مركبة بعد تحليلها .

مفهوم مناهج البحث العلمي

المناهج : جمع منهج أو منهاج وهو لغة الطريق الواضح ومنه نهج الطريق بمعنى أبانه وأوضحه وسلكه [١] ومنه قول الله تعالى : ﴿ **لكلٍ جعلنا منكم شِرْعة ومِنهاجًا** ﴾[٢].

وأما في الإصطلاح :فقد عرفه بعضهم بأنه : « الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة »[٣] . كما عرفه البعض الآخر بأنه : « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا ، ومن أجل البرهنة على حقيقة لا يعرفها الآخرون » .

ومن خلال هذا التعريف الأخير نلحظ أن هناك **اتجاهين للمناهج** من حيث الهدف .

ـ **أحدهما**: يكشف عن الحقيقة ويسمى منهج الاختراع .

ـ **والثاني**: يبرهن أو يعدل عن مفاهيم سائدة ويسمى منهج التصنيف [٤].

البحث : لغة الحفر والتنقيب ومنه قول الله تعالى : ﴿ **فبعث الله غرابًا يبحث في الأرض** ﴾ [٥] ويأتي بمعنى الاجتهاد وبذل الجهد في موضوع ما وجمع المسائل التي تتصل به ومنه سميت سورة براءة بالبحوث ، لأنها بحثت عن المنافقين وكشفت ما يدور في قلوبهم[٦].

وأما في الاصطلاح : فهناك تعريفات كثيرة تدرور معظمها حول كونه وسيلة للاستعلام والاستقصاء المنظم الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات جديدة أو تطوير وتصحيح أو تحقيق معلومات موجودة بالفعل ، ومن بين هذه التعريفات ما يلي :

ـ **البحث** : إستقصاءٌ دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق

---

(١) محمد بن أبي بكر الرازي ـ مختار الصحاح ص (٦٨١) دمشق ١٩٨٣ م .

(٢) سورة المائدة : آية (٤٨) .

(٣) د. عبد الرحمن بدوي ـ مناهج البحث العلمي ص (٥) القاهرة ١٩٦٣ م .

(٤) د . محمد زيان عمر ـ البحث العلمي مناهجه وتقنياته ص (٤٨) ـ دار الشروق ـ جدة ١٩٨٣ م .

(٥) سورة المائدة : آية (٣١) . (٦) المعجم الوسيط ج ١ ص (٤٠) .

منها مستقبلاً .

ـ **البحث** : وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة ، وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة (١).

ـ **البحث** : تقرير واف يقدمه باحث عن عمل تعهده وأتمه ، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة مرتبة مؤيدة بالحجج والأسانيد(٢).

وأخيراً نستطيع أن نعرفه بتعريف مختصر يؤدي الفائدة فنقول : بأن البحث عبارة عن إضافة جديدة للعلم تقوم على الدليل والبرهان .

وإذا ما أضفنا المنهج إلى البحث كان المعنى العام للكلمتين **مناهج البحث** : هو مجموعة منظمة من المباديء العامة والطرق الفعلية التي يستعين بها الباحث في حل مشكلات بحثه مستهدفًا بذلك الكشف عن جوهر الحقيقة (٣).

وبمفهوم آخر **فمنهج البحث** :

هو القانون الذي يحكم أية محاولة للدراسة أو التقييم علي أسس سليمة .

العلمي :

نسبة إلى العلم وهو المعرفة المنظمة التي تتصف بالصحة والصدق والثبات .

والفرق بين العلم والمعرفة :

أن المعرفة مجموعة من المفاهيم والآراء والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الفرد كنتيجة لخبراته في فهم الظواهر والأشياء المحيطة به .

أما العلم :

فهو أسلوب تحقيق هذه المعرفة وتمحيص الحق من الباطل ومعنى ذلك أنه ليست كل معرفة تعد معرفة علمية وليست جميع أنواع المعارف على مستوى واحد ، وإنما تختلف باختلاف ما تتمتع به من دقة ، ودقة المعرفة تنبعث من مدى ما تتميز به من أساليب التفكير وقواعد المنهج التي اتبعت في الوصول إليها ، وعلى هذا فالمعرفة هي مجرد المعلومات التي تصل إلى الإنسان بدون تمحيص أو تدليل وبرهنة ، أما العلم فهو المعرفة المنظمة المصاغة

---

(١) د . أحمد بدر ـ أصول البحث العلمي ص (٢٠) .

(٢) د . أحمد شلبي : « كيف تكتب بحثًا أو رسالة » ص (١٣) .

(٣) حسين عبد الحميد رشوان ـ ميادين علم الإجتماع ومناهج البحث العلمي ص (١٠٠) ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ م

بشكل قواعد وقوانين تم التوصل إليـها بواسطة الأسلوب العلمي السليم الذي يجعل الإنسان على يقين من مـدى صدق معـارفه [١]. مهـما يكن مصـدره سواء كان الوحـي والنبوة التي تثبت عند الإنسان ببـرهان عقلي يقيني حيث يظهر الله على يد النبي أمـرًا خارقًا للعادة ليس في طاقة البشـر الإتيان بمثله ، فيقتنـع الإنسان بصدق النبي ﷺ وبصدق مـاجاء به عن طريق المعجـزة وبالتالي تصبح العلوم التي تنبني على الوحـي علومًا يقينية . لأن مصـدرها الأساسي قد ثبت بأسلوب التـفكير العلمي الذي يسير وفـقًا لتنظيم عقلي معين يرتب فيـه المقدمات ثم ينتقل منها إلى النتائج اليقينية الملزمة .

وكذلك قل عن علوم الرياضيات والمنطق التي تعتمد على العقل . وهناك علوم أخرى مصدرها الحس والتجربة مضافة إلى العقل كالطب والكيمياء وسائر علوم الطبيعة .

وهكذا فالتنظيم العقلي يحول المعارف مهما كان مصدرها إلى علوم .

وهذا المفهـوم السابق لكلمة علم ينازعنا فيـه رجال الثقافـة الغربية الأصلاء والتـابعون لهم ، فقد اتفق علماء مـناهج البحث في الغرب على تخصيص كلمة علم بالعلوم التـجريبية التي تخـضع لمنهج العلم الحسي التـجريبي ومـعظم من تلقى عنهم من علماء المنـاهج العرب سار على هذا المفهوم . فها هو أحدهم يعرف العلم : بأنه كل ما يخضع للتجربة التعليـمية أو كل ما يمكن بحثه عن طريق الحـواس متفقًا مع العقل [٢] كما يعرفه بتعريـف آخـر فيقـول : « هو الدراسة العلمية المنضبطة والتي تبـحث في العلاقات الكائنة بين الفروض المنضبطة التي هي ليست صادقة ولا كاذبة والتي تضمن متغيرات الظاهرة المراد بحثها [٣]».

ونلاحظ على تعريف العلم بهذا **التعريف القاصر** عددًا من الملاحظات :

أولاً : أنه يحاول أن يحصر صفة اليقين في العلوم العلمية التي تخضع للمعمل والحس فقط ، وينفي هذه الصفة عن سائر العلوم الأخرى [٤] وهذه فكرة خاطئة ، لأن لكل علم من العلوم منهـجه الذي يوصل إلى اليـقين ، ولا يلزم من عدم إمكـانية تطبيق المنهج على العلوم النظرية أن نقول : إن اليقين فيها مفقود ، وإنما علينا أن نتعلم منهج البحث الذي يلائمها .

ثانيًا : أنه تعريف خـاطيء وغير جـامع لكل أفراد المعرف ؛ لأنه حـصر العلم في نوع واحـد من أنواع المعرفـة وهو المعـرفـة الحسـية التـجريبيـة ، مع أن المعـارف والعلوم كـثيـرة

(١) د . حنان عيسى سلطان وزميلها ـ أساسيات البحث العلمي ص (٣٩) ـ الرياض ١٩٨٤ م .

(٢) د . أحمد جمـال الدين طاهر ، و د . محمد زيان ـ البحث العلمي ص ٩ دار الشـروق بجدة وقارن ص (٢٦) من مناهج البحث في التربية وعلم النفس د . جابر عبد الحميد .

(٣) د . محمد زيان عمر .

(٤) د . محمد المبارك ـ الإسلام والفكر العلمي ص (١٥ ، ١٦) ـ دار الفكر ـ بيروت .

ومناهجها متعددة فهناك العلوم الدينية والغيبية ومنهجها النقل السماوي الصادق والمبني على الاستدلال العقلي البرهاني ، وهناك المنهج المنطقي ، والمنهج السماعي الذي تقوم عليه علوم اللغة ، وهناك المنهج الذوقي الإشراقي الذي تقوم عليه علوم التصوف ، وكلها مناهج صحيحة تؤدي إلى معارف ومعلومات متنوعة لا يستطيع أي باحث علمي يحترم نفسه ويحترم العلم بمفهومه الصحيح أن ينكرها لأنها أمر واقع ومشاهد .

ثالثًا : وقع أصحاب هذا المفهوم الخاطيء في تناقض واضح ؛ لأن العلم بهذا المفهوم يستبعد الغيبيات وسائر المعلومات التي لا تدرك بالحواس ، مع أن آخر النظريات العلمية التي يسلم بها هؤلاء ، قد قامت علي أساس من الغيبيات ؛ بل أصبح الغيب هو الحقيقة العلمية الوحيدة المستيقنة من وراء التجارب والبحوث فقد أثبتت نظرية الذرة أن العلمية مرادفة للغيبية ، فما الذرة ومكوناتها إلا ضرب من الغيبيات[1].

وأثبتت **نظرية النسبية** عند أينشتاين بأن المادة المحسوسة هي عبارة عن طاقة كامنة ، وأن المادة والطاقة صورتان مختلفتان لشيء واحد بمعنى أنه يمكن تحويل المادة إلى طاقة غير مرئية ، وقال أينشتاين أن كيلو واحد من الفحم لو تحول إلى طاقة خالصة فسوف يعطي حوالي ٢٥ تريليون كيلو واط في الساعة [2].

وإذا كانت **الطاقة من الغيبيات** التي لا تعرف إلا بآثارها لا بذاتها ، فإن المادة تعد من الغيبيات ــ بناء على هذه النظرية ــ وهكذا لم يعد هناك فرق بين المحسوس والملموس وغير المحسوس والملموس ــ وهذا ما يقوله العلم [3] .

وأخيرًا تأتي نظرية الكوانتم الجديدة علي يد « ماكس بلانك » والتي أخذت بالنظرة الموجيه للضوء باعتباره طاقة جسمية .

ولا شك أن الذرة وما قام عليها من نظريات ليست موضوع إدراك حسي حتى باستخدام أحدث الأجهزة ولكن العلم وصل بها إلى قوانين ونظريات [4] إذًا فالغيبيات الدينية علم يقيني ، بل أشد يقينيًا من غيبيات العلم الحديث يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ .

وأخيرًا فهناك **تعريف عام للعلم** ورد في قاموس اكسفورد المختصر على النحو التالي:

---

(١) د . عماد الدين خليل ــ تهافت العلمانية ص (٣٧) .

(٢) أنيشتاين والنظرية النسبية د . محمد عبد الرحمن مرحبا ص (٨٣) دار القلم ـ بيروت ١٩٧٤ م .

(٣) د . أحمد عبد الوهاب ــ أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي ص (٥٤) ــ القاهرة مكتبة وهبة .

(٤) د . حنان سلطان ــ أساسيات البحث العلمي ص (١٩) .

* « العلم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسر مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة والتي تحكمها قوانين عامة ، وتحتوي على طرق ومناهج موثوق بها لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة »[1] .

ونحن نرجح هذا التعريف نظراً لعمومه وشموله وإمكانية تطبيقه على سائر العلوم نظرية كانت أو علمية ، وعلى اختلاف مناهجها المناسبة لدراستها .

ونخلص من هذه النقطة بذكر عدد من المفاهيم الموضوعة « لمناهج البحث العلمي » ثم نضع التعريف الذي نرتضيه ، وقد عرفه العلماء بتعريفات مختلفة منها :

* أنه القانون الذي يحكم أي محاولة للدراسة أو التقييم على أسس سليمة .

* هو التزام منهج وخطوات متعارف عليها لا بد للطالب أو الباحث من الإلمام بها قبل القيام بأي محاولة للبحث[2] .

* البحث العلمي : هو تلك **المحاولات الناشطة** التي يبذلها الباحث في استقصاء واستنتاج المعرفة العلمية ، بالاستعانة بالوسائل المنظمة في الوصول إلى أهداف البحث[3] .

* البحث العلمي: هو المحاولات الهادفة المخططة لحل مشكلة محددة .

* البحث العلمي : هو طريق التفكير التي يسلكها العقل الإنساني في بحثه عن الحقيقة وباتباع وسائل خاضعة لأسس وقوانين ومقيدة بشروط معينة .

* البحث العلمي : كل طريقة أو منهج يحدد لنا سبل الكشف عن حقائق العلوم المختلفة[4] .

* البحث العلمي : هو المحاولة الدقيقة الناقدة للتوصل إلى حلول للمشكلات التي تؤرق الإنسان وتحيره[5] .

ويلاحظ : أن هذه التعريفات تدور كلها حول مفهوم واحد ، وبناء عليها نستطيع أن نضع التعريف التالي فنقول :

إن منهج البحث العلمي : هو عبارة عن الطرق المقننة والمنظمة التي يسلكها الباحث في معالجة أية مشكلة من مشكلات المعرفة كشفاً واختراعاً أو تدليلا وبرهاناً متفقا مع الأسلوب والطريقة التي تناسبها .

---

(١) د . أحمد بدر ـ أصول البحث العلمي ومناهجه ص (١٨) .

(٢) د . محمد زيان عمر ـ المرجع السابق ص (٩) .

(٣) د . حنان سلطان ـ المرجع السابق ص (٤٢١).

(٤) المرجع السابق ص (٤٤٢) وما بعدها .

(٥) فان دالين ـ مناهج البحث في التربية وعلم النفس ـ ص (٩) ـ القاهرة .. مكتبة الأنجلو المصرية

وإذا ما أردنا شرح هذا التعريف الذي وضعناه نقول :

إن البحث العلمي لا يسير هكذا اعتباطا وإنما يعتمد على خطوات تبدأ من الشعور بالمشكلة التي تحتاج إلى دراسة ثم محاولة تحديد هذه المشكلة وصياغتها صياغة واضحة ، ثم وضع مخطط تفصيلي وتحليلي لجوانبها وأبعادها ، ثم وضع الفروض المحتملة لحلها من خلال القراءة المستمرة ، وجمع المادة العلمية التي تتصل بالمشكلة ثم اختيار المنهج المناسب لدراسة هذه المشكلة إذ أن لكل مشكلة من مشكلات المعرفة منهجها الملائم ، وليس من المعقول أن نحكم على قضية من القضايا بغير المنهج الذي يلائمها ، فلا يمكن أن نحكم على الغيبيات بالمنهج الحسي التجريبي المخصص للبحث في الكونيات مثلا .

* كما أنه لا يلزم في المشكلة الجديدة أن تكون مبتكرة أو مخترعة فقد تكون موجودة بالفعل ، ولكن يعوزها الدليل والبرهان أو أن تكون قد بحثت من قبل ، ولكن في ضوء معلومات خاطئة أو أدلة غير مسلمة ، فيقوم الباحث بدراستها في ضوء جديد وبأسلوب ومعلومات جديدة قد تثبت عكس ما أثبته الباحث السابق .

وسوف نكتفي في تحديد مفهوم مناهج البحث العلمي بما ذكرنا لكي ننتقل إلى الحديث عن أهداف العلم وأسسه ومنابعه .

أهداف العلم :

درج بعض الكاتبين في هذا الموضوع على حصر أهداف العلم في ثلاثة هي : الوصف ، والتفسير ، والتنبؤ ، ومنهم من أضاف رابعًا هو التحكم ، وسوف نعرض الموضوع بطريقتهم الخاصة ثم نعقب عليها برؤيتنا الإسلامية .

١ ـ الوصف :

ومعناه : حصر صفات الظاهرة موضوع البحث مثل ملاحظة المعادن التي تتمدد بالحرارة مثلاً ، فيقوم بحصر ووصف الخصائص الظاهرية لعملية التمدد .

٢ ـ الفهم أو التفسير :

وهو عبارة عن كشف العلاقات التي تقوم بين الظواهر المختلفة ، وعلاقة الظواهر بنتائجها .

٣ ـ التنبؤ :

وهو تصور انطباق القانون أو القاعدة العامة في مواقف أخرى غير تلك التي نشأت عنها أساسًا ، فالعلم لا يقف عند حد التوصل إلى تعليمات أو تفسيرات نظرية للحوادث والظواهر بل يتعداها إلى ما يمكن أن يحدث لو طبقنا هذه التعليمات والنظريات على مواقف

أخرى جديدة[1] .

فإذا ما بحثنا ظاهرة الانتحار مثلاً في مجتمع من المجتمعات ووجدنا أن السبب في ذلك هو الفراغ الروحي ، فإنا نستطيع أن نتنبأ بأن كل مجتمع لا يوازن بين مطالب الروح ومطالب البدن ، سوف تتكرر فيه ظاهرة الانتحار .

التحكم :

ومعناه تناول الظروف التي تحدد حدوث الظاهرة بشكل يحقق لنا هدفًا معينًا ، ففي ظاهرة مثل تمدد الحديد حين يتعرض للحرارة ، نستطيع أن نتحكم في قضبان السكك الحديدية فنجعل بينها فراغات تستوعب هذا التمدد حتى لا ينقلب القطار مثلاً.

هذه هي أهداف العلم كما تحدث عنها كل من كتبوا في علم مناهج البحث فقد ترجموها وصاغوها هكذا عن الكتب الأجنبية دون أي إعمال للفكر أو العقل ، ودون أي إحساس بالفارق الكبير بين الحضارة الغربية التي أملت على أصحابها ما أملت ، وبين الحضارة الإسلامية التي ينبغي أن نعبر عن فكرنا من خلالها .

ومن هنا نرى أن هذه الأهداف هي مجرد الأهداف الظاهرية أو القريبة ، ولكن هناك أهداف بعيدة ينبغي أن نلفت النظر إليها .

ومن هذه الأهداف :

١ ـ: محاولة الوصول إلى السبب الأول الذي يفسر كل الظواهر المبعثرة في الكون .

وقد يقول قائل منهم : إنك الآن تخلط بين مهمة العالم ومهمة الفيلسوف من حيث إن الفيلسوف يحاول الوصول إلى كنه الأشياء وحقيقتها ، بينما يقف العالم عند حدود الظواهر الجزئية ، ويحاول الوصول إلى القوانين التي تفسرها دون خوض في البحث عن عللها وعلة وجودها[2] ونقول :

أولاً : إن العالم الحقيقي ينبغي عليه أن يرتقي في مراحل بحثه إلى مراقي الفيلسوف ، ويحاول أن يربط بين القوانين لمعرفة الأسباب المبعثرة بحيث يستطيع أن يفسرها بقانون واحد .

ثانيًا : إن هذه الغاية التي نبهنا عليها هي الغاية الحقيقية التي يجهد العالم نفسه من

---

(١) راجع في ص (٦٨) من أساسيات البحث العلمي و ص (٣٠) من كتاب المنهج العلمي وتفسير السلوك ، د . محمد عماد الدين إسماعيل ـ القاهرة سنة ١٩٧٠ ، وقارن مبادىء التفكير العلمي للدكتور زكي نجيب محمود .

(٢) راجع ص (٢٦) من « قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » نديم الجسر .

أجل الوصول إليها ، وإليك ما يقوله العلماء التجريبيون .

« إن العلاقات التي يبحث عنها العلم ليست محصورة في دوائر مفصولة عن بعضها البعض ، بل يمكن أن تتسع دائرة العلاقات حتى تشمل هذا الكون بأكمله ، فالعالم يحاول أن يربط بين الظواهر وبين التفسيرات المختلفة ، ويحاول أن يدمج القوانين والتفسيرات الجزئية تحت قوانين أخرى أعم منها ، وهكذا يحاول أن يدخل الخاص في دائرة العام حتى يصل إلى القانون الكلي الذي يفسر كل الظواهر(١) ، وهكذا يحاول العلم كما قلنا أن يربط بين القوانين الجزئية بردها إلى قانون كلي .

والواقع أن المتتبع لتاريخ العلم الحديث يجد أنه يجري لاهثًا وراء هذه الغاية ، فقد حاول جاليليو بأبحاثه أن يصل إلى قانون ثابت للأجسام الساقطة ، فجاء نيوتن من بعده وجعل قانون جاليليو مجرد حالة خاصة من قانون أعم هو قانون الجاذبية ، ثم جاء أينشتاين أخيراً ورد قانون الجاذبية إلى قانون القصور ؛ بل يقول أينشتاين : إنه من الممكن أن نفسر كل القوانين العلمية المكتشفة بقانون واحد هو نظرية النسبية ، وهذا هو نص كلامه : « إن صدق النظرية النسبية ليس قاصراً على ناحية واحدة من نواحي الطبيعة فهذه النظرية تشكل إطاراً عامًا يضم جميع الظواهر الطبيعية ، ويتضمن تفسيرها »(٢) .

* وسواء كان أينشتاين مؤمنًا أم كان معجبًا فقط بنظام الكون وإبداعه كما يقال ، فإن ما يهمنا هنا أن نثبت أن هدف العلم ليس مجرد الوصف والتفسير والتنبؤ بظاهرات جزئية متفرقة ، وإنما هدفه الأساسي هو الوصول إلى القانون العام الذي نسق بين هذه القوانين الجزئية التي تعمل في الكون .

* أما الذين يدعون أن الغاية الحقيقية من العلم هي مجرد الأهداف القريبة ، فإننا نقول بكل أسف : أنتم ما زلتم تقفون على أ بواب العلم وأعتابه ، فادخلوا من الباب ، وابحثوا عن الغاية الأساسية من العلم ، ونحن هنا لا نتحدث بلغة علماء الدين ؛ بل بلغة العلم الذي تدعون أنكم سدنته وحراسه ، فبدون هذه الغاية تتحول العلوم إلى كم متناثر لا يربطه رابط، ولا يجمعه جامع .

وهنا يطيب لي أن أذكر مقالة الفيلسوف « باسكل » التي يقول فيها :

« صنفان من الناس يجوز أن تسميهم عقلاء : وهم الذين يخدمون الله ؛ لأنهم يعرفونه ، والذين يجدون في البحث عنه ؛ لأنهم لا يعرفونه »(١) .

---

(١) المنهج العلمي وتفسير السلوك .

(٢) السابق .

ومن هنا فهؤلاء الذين يفصلون بين غاية العلم وبين البحث عن الله ليسوا بعقلاء ولا علماء ، فلتكن وجهة العالم دائما هي البحث عن القوة العليا التي يستطيع أن يفسر بها كل الظواهر الجزئية التي يبحث عن تفسيرها .

٢ ـ الغاية الثانية التي يهدف إليها العلم هي تسخير الكون بكل ما فيه لخدمة الإنسان وتكريمه وتحقيق سعادته ووقايته من أسباب الشقاء والدمار(٢) .

فالعلم حين يستخدم أداة لخلق الشقاء والتعاسة للإنسانية يكون قد انحرف عن غايته الأساسية ، ولا لوم على العلم ، إنما اللوم على هؤلاء العلماء الذين جعلوا من العلم وسيلة لتدمير الإنسان ، واختراع ما فيه شقائه وفنائه .

فالمسألة ترجع إلى الروح التي يستخدم بها الإنسان ثمار العلم ، فهذه الروح هي التي تقرب الإنسان من الدرجة السامية للإنسانية حين تستخدم في إسعاد الإنسان ، أو تقربه من أدنى درجات الحيوانية الوحشية حين تستخدم في ضرر الإنسان وشقائه .

وفي توجيه القرآن الكريم إلى هذه الغاية جاء قوله تعالى : ﴿ **هُوَ الذي خَلَقَ لكم ما في الأرضِ جَميعًا** ﴾(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ **اللهُ الذي خَلَق السماواتِ والأرضَ وأنزل مِن السماءِ ماءً فأخرج به من الثمراتِ رزقًا لكم وسخر لكم الفُلْكَ لِتَجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكمُ الشمسَ والقمرَ دائبين وسخر لكم الليلَ والنَّهار** ﴾(٤) .

وقوله : ﴿ **اللهُ الذي سخرَ لكُمُ البحر لِتَجرِيَ الفلكُ فيه بأمره ولِتبتغوا من فَضْلِهِ ولعلكم تشكُرُون** ﴾(٥) .

وهكذا ينبغي أن تكون غاية العلم وهدفه ـ بعد الوصول إلى الله ـ أن يسخر الكون لخدمة الإنسان .

مسلمات العلم :

ادعى كثير من الكاتبين أن مسلمات العلم التي ينبغي أن يسلم بها العالم تسليما جازمًا ثلاث هي :

١ ـ مسلم الحتمية :

---

(١) قصة الإيمان ص (٤٣١) .

(٢) القرآن يتحدى ص (٢٢٣) .

(٣) سورة البقرة الآية (٢٩) .

(٤) سورة إبراهيم الآية (٣٢ ـ ٣٣) .

(٥) سورة الجاثية الآية (١٢) .

الذي اكتشفه نيوتن ، وادعى فيه أن الكون وأسبابه ومسبباته تخضع لقانون الحتمية فالمسببات تحدث عقب ظهور الأسباب حدوثًا ضروريًا دون أية حاجة إلى افتراض سبب آخر وراء الظواهر المحسوسة .

٢ ـ مسلم الاضطراد :

ومعناه أن ما حدث اليوم لظروف معينة ، لابد أن يحدث غدًا حين تتحقق هذه الظروف .

٣ ـ مسلم الوضعية أو الحسية :

ومعناه أن العالم ينطلق من الأمور المحسوسة الموضوعة أمامه ، ولا يضع أي اعتبار لما لا يقع تحت الحسي[١] .

والذي نراه أن هذه المسلمات غير واقعية ، ولا تعبر عن واقع العلم ، فلقد جاءت نظريات الرياضيات الحديثة في الاحتمالات ، ونظرية النسبية لكي تهدم هذه المسلمات .

فنظرية الاحتمالات التي وضعها « كينز »[٢] ، لا تضع أي اعتبار لمسلم الحتمية أو الاضطراد ، فلم تعد العلاقة بين السبب والمسبب حتمية ضرورية لا تتخلف ، بل أصبحت محتملة بدرجة ما من درجات الاحتمال على حسب الفرص المتكافئة بحدوث الظاهرة أو عدم حدوثها .

ولقد سبق أن عبر الإمام الغزالي عن هذه الحقيقة من خلال إثباته لعادية التلازم بين الأسباب والمسببات ، فليس من الضروري إذا حدث الظاهرة (أ) أن تحدث الظاهرة (ب) ، وإنما على ضوء نظرية الاحتمالات : لو حدثت الظاهرة (أ) فإنها يحتمل أن تتبعها الظاهرة (ب)[٣] .

إذًا فالظواهر ليست خاضعة لقانون الحتمية ، بل لقانون أعلى وأسمى ، وهو قانون « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » ، نعم .. فهناك الإرادة الحرة عن دوامة الأسباب والمسببات .

وعلى أساس نظرية الاحتمالات قامت نظرية النسبية التي لم تضع أي اعتبار لوضعية

---

(١) راجع المنطق الوضعي ـ د . زكي نجيب محمود ، وقارن ص (٤٠) وما بعدها من كتاب المنهج العلمي وتفسير السلوك .

(٢) قارن ص (١١٦) وما بعدها من كتاب الاستقراء والمنهج العلمي د . محمود زيدان ـ القاهرة ١٩٨٠ .

(٣) قارن كتاب ـ شواهد العلم في هدي القرآن ص (٦٣) للأستاذ محمد سعدي المقدم ـ القاهرة ١٩٥٠

الماديين وحسيتهم ؛ بل قالت : إن المادة التي يتألف منها الكون عبارة عن طاقة هوائية متجمدة في شكل ذرات غير مرئية ، وأثبت هذا العالم أن المادة والطاقة شيء واحد وهو لم يشاهد الذرات ولا مكوناتها ، وإنما تعرف عليها بآثارها ، وقد صدق رأيه عندما أمكن تفتيت الذرة وتحويل مادتها إلى قوة(١) فخبرونا بالله عليكم هل تصدقون بوجود الإلكترون والبروتون والنيوترون ، وهي مكونات الذرة التي لم يرها أحد أم لا ؟ .

وهل نظرية النسبية علم أم لا ؟ وهل أينشتاين عالم أم لا ؟ فكيف تدعون بعد كل ذلك أن الحسية والوضعية هي المسلم والأساس الذي ينطلق منه العالم ؟ .

وإذًا فوضع هذه الأمور كمسلمات للعلم أمر لا يتفق أبدًا مع مقررات العلم ذاته .

ومن هنا نضع نحن مسلمات العلم الحقيقي التي ينبغي أن يؤمن بها العالم أيا كان تخصصه وأيا كان مجال بحثه ، ومنها :

١ - لا بد أن يسلم العالم بأن هناك قوة عليا هي التي خلقت هذا الكون ، وأبدعته ونسقت قوانينه على أفضل ما يمكن أن يكون .

٢ - أن الله سبحانه وتعالى قد وضع في الكون سننًا ونواميس وأسبابًا ومسببات إلا أن العلاقة بينها عادية تخضع لقدرة الله وإرادته - وليس معنى ذلك أن الأسباب لا تؤثر في المسببات ، بل المقصود أنها لا تؤثر بطبعها وذاتها بل بقدرة الله ﴿ **اللهُ الَّذِي أَعطَى كُلَّ شَيءٍ خلقه ثُمَّ هَدَى** ﴾ (٢).

٣ - أن التجربة والمختبر والحس ليس هو الطريق الوحيد للعلم ؛ بل هناك العقل والمنطق الذي يستطيع أن يفسر في أحيان كثيرة ما يعجز عنه المعمل والمختبر .

ولسوف يقولون : إنه يلقى بنا إلى غيبيات لا دليل عليها من الحس ، ونقول : وهل العلم اليوم في أحدث نظرياته إلا ضرب من الغيبيات ، فهذه هي المسلمات الأساسية التي ينبغي أن يسلم بها العالم والباحث قبل أن يدخل إلى مختبره ، وسوف لا يجد أي تناقض بينها وبين نظريات العلم الحقيقي ، وأما العلم الزائف والنظريات التي حسبت على العلم بدون وجه حق فلا شأن لنا بها ، وعلى الباحث ألا ينخدع بالمسلمات التي وضعها هؤلاء ، وإنما من واجبه أن يبحث عن مسلمات العلم الحقيقية .

منابع البحث العلمي :

المقصود من منابع البحث العلمي: أي المصادر والأسباب الأساسية التي توحي

---

(١) راجع كتاب « أينشتاين » والنظرية النسبية ص (٨٣) د . محمد عبد الرحمن مرحبا .

(٢) سورة طه : الآية : (٥٠) .

بالبحث العلمي، وقد حصر كثير من الكتاب هذه المنابع في منبعين فقط هما:

١ ـ المصدر البيولوجي :

والمراد منه حواس الإنسان من العين واللمس والسمع والعقل وغيرها ، فهي أول منابع البحث العلمي .

٢ ـ المصدر الثقافي :

ويقصد به البيئة التي يحيا فيها الإنسان ، فهي ليست بيئة مادية فقط ، بل هي ثقافية أيضًا ، إذ أن المشكلات التي يطرحها الباحث ويعالجها إنما تنشأ عن علاقة أفراد البيئة بعضهم مع بعض ، وما ينشأ عن هذه العلاقات من مشكلات وحاجات المجتمع الذي يعيش فيه الباحث(١) .

هذه هي منابع البحث العلمي كما نقلوها عن مفكري الغرب ، ولنا عليها **ملاحظتان :**

الأولى : أن حواس الإنسان هي وسيلة من وسائل المعرفة ، فهنا خلط بين منهج المعرفة ووسيلتها ، وبين منبعها الذي يوحي بها .

الثانية : أن هناك مصدراً ومنبعًا أساسًا من منابع البحث العلمي ، وهو القرآن الكريم الذي وجه العقل البشري إلى معظم مجالات المعرفة بدءًا من الأرض التي يعيش الإنسان عليها وما تحتويه من نبات وحيوان وجبال راسيات ، وانتهاءً بالسماء والفضاء والأفلاك والقمر والنجوم ، وظواهر الليل والنهار والرياح ، ثم وجه النظر إلى الإنسان نفسه وأطوار خلقه وتكوينه وجسمه ونفسه ، وكل ما يقع أمام الحس البشري من ظواهر وجه القرآن إلى دراسته وليقرأ من شاء قول الله تعالى : **﴿ أَوَ لَمْ يَنْظُروا فِي مَلَكُوتِ السَّموات والأَرْضِ وما خَلَقَ اللهُ من شيءٍ ﴾(٢) ، ﴿ أفلم يَنْظُروا إلى السَّماءِ فَوقَهُمْ كيفَ بَنيناهَا وزيَّناها ومَا لها مِن فُروج * والأرضَ مَدَدْناهَا وألقينا فيها رَوَاسيَ وأنبَتْنَا فيها من كل زَوجٍ بَهيج * تَبْصرَةً وذِكْرى لكل عبد منيب * ونَزَّلْنا مِن السَّماء ماءً مباركًا فأنْبَتْنَا به جنات وحبَّ الحَصيد * والنخلَ باسقاتٍ لها طلعٌ نَضيدٌ ﴾(٣) ، ﴿ سُبحانَ الَّذي خَلَقَ الأزْواجَ كُلَّهَا ممَا تنبتُ الأرضُ وَمِنْ أنفسِهِمْ وَممَا لا يعلمونَ * وآيةٌ لَهُمُ الليلُ نسلَخُ منهُ النهَارَ فإذَا هُمْ مظلمونَ * والشَّمسُ تَجري لمستقرٍ لَهَا ذَلكَ تَقْديرُ العزيزِ العليمِ * والقمرَ قدَّرناهُ مَنازلَ حتَّى عَادَ كالعُرجونِ القديمِ * لا الشَّمْسُ يَنبغِي لَهَا أنْ تدركَ القمرَ وَلا الليلُ سابقُ النَّهارِ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسبحُونَ ﴾(١)** .

---

(١) د . جمال الدين طاهر وزميله ــ البحث العلمي الحديث ص (٣٤) .

(٢) سورة الأعراف (١٨٥) .   (٣) سورة ق (٦ ــ ١٠) .

ولا تخلو سورة من سور القرآن الكريم من الآيات التي وجهت العقول إلى النظر في الكون ودراسة كل مظاهره الحسية دراسة علمية ، وبهذا فجر القرآن الكريم طاقة العقل العربي الذي راح يبدع ويبحث في كل مجالات المعرفة ، فكانت أبحاثهم القيمة في مجالات العلوم البحتة وكانت مكتشفاتهم العلمية ، قبل أن تصحو أوربا من غمة العصور الوسيطة .

ويكفي أن نعلم أن سائر العلوم النظرية من الفقه والأصول والمنطق والفلسفة الإسلامية ، وعلم الأخلاق ، وعلم النفس والاقتصاد والسياسة ، وأصول الاجتماع وعلم التوحيد وسائر علوم اللغة ، يكفي أن نقول : إن كل هذه العلوم قد نشأت من النظر في القرآن الكريم ، ومع أن القرآن قد حسم القضايا الأساسية في مجالات العقيدة والأخلاق ، إلا أنه في سائر العلوم العملية ترك الباب مفتوحًا للعقل الإنساني يستكشف ما يشاء ، ويبدع كيف شاء ، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ حين قال في واقعة تأبير النخل « **أنتم أعلم بأمور دنياكم** » .

فهل من الممكن بعد كل ذلك أن يتغاضى كاتب عن القرآن من حيث إنه منبع أساسي من منابع البحث العلمي ؟ أم كتب علينا أن نتابع الفكر الغربي حتى في أخطائه ؟ .

أهمية البحث العلمي وفوائده :

قلنا : أن أي تقدم رهين بالبحث العلمي ، وما تقدمت الحضارة الإسلامية بكل فروعها سابقًا إلا لأن علمائها قد ساروا على الأسس المنهجية في البحث .

ومن هنا تبدو لنا أهمية البحث العلمي وأهدافه في النواحي التالية :

أولا : أنه ساعد على رقي الأمم وتقدمها في وقت قياسي ؛ لأن الباحث في هذه الحالة إنما يسير في أبحاثه على الطريقة العلمية التي تمكنه من اختصار الوقت ، والوصول إلى النتائج من أقصر طريق ، حتى لا يضل في متاهات العلم وأروقته ، ولتوضيح ذلك :

لنتصور مشكلة ما تواجه (أ) و (ب) من الناس الأول لا يسير على الطريقة الصحيحة- والثاني يسير عليها ، وسوف نشاهد الأول يحاول ويخطأ ويعيد المحاولة مرات ومرات حتى يصل إلى حل ما قد يكون صوابًا وقد يكون خطأ ، ولكنه في كلتا الحالتين لا يعتبر باحثًا علميًا ؛ لأنه لا يسير في حل مشكلاته تبعًا لتنظيم ذهني معين يمكنه من التحقق من نتائجه فضلاً عن الوقت الطويل الذي استهلكه .

أما الثاني : فيعالجها بأسلوب علمي أي يسير نحو حل مشكلاته بخطوات فكرية معينة ، وهي التي يسميها العلماء بخطوات البحث العلمي ، وبالتالي سوف يصل إلى نتائجه

---

(١) سورة يس (٣٦ ـ ٤٠) .

بسرعة فائقة ، فضلاً عن تأكده من هذه النتائج[1] .

ثانيًا : أن هذا العلم هو وسيلة الخلق والابتكار ، كما أنه وسيلة لكشف الأخطاء الشائعة الناتجة عن الأبحاث المبتسرة وغير المنهجية ، فبواسطة هذا العلم استطاع علماء المسلمين أن يكتشفوا كثيراً من النظريات العلمية في كل مجالات المعرفة ، كما استطاعوا أن يكتشفوا الأخطاء التي وقع فيها فلاسفة اليونان وعلماؤهم .

وكذلك استطاع العلماء المحدثون في أوربا أن يحطموا كثيراً من النظريات القديمة في الفلك والنجوم والطبيعة ، وأن يضعوا بدلاً منها نظريات جديدة ،وتاريخ العلوم مليء بالأمثلة التي تثبت أن التقدم العلمي السريع هو نتيجة لتطور الأسلوب العلمي في البحث ، ولعل هذا هو السر الذي جعل كثيراً من الدول تُنشيء المراكز العلمية المتخصصة ، بل ووزارات خاصة بالبحث العلمي[2] .

ثالثًا : ولهذا العلم أهمية خاصة في المرحلة الجامعية إذ يعد وسيلة من وسائل التعليم الذاتي فمن خلاله يتعرف الطالب على أسلوب البحث وطريقته ويتعلم كيف يصل إلى المعلومات بنفسه وقد يخرج الطالب إلى الحياة العملية ، وأيا كان مجاله مهندسًا أو طبيبًا أو مدرسًا فهذا العلم يساعدهم على تحقيق فهم أفضل لمجالات عملهم .

ولنأخذ مثالاً على ذلك بالمدرس أو المدرسة فمهمتهم في أساسها مهمة بحثية ، فتحضير الدرس هو نوع مصغر من أنواع البحث ، فالمدرس الناجح هو الذي لا يكتفي بالكتاب المقرر ، وإنما عليه أن يقرأ ويوازن بين الأفكار ويستنتج ، وفي النهاية يكتب الدرس كأنه بحث جديد ، وبذلك يستطيع أن يوسع من دائرة فكره ، ويفتح أذهان الطلاب على آفاق أوسع وأرحب ، أما الأستاذ الذي يعتمد على مجرد كتاب واحد يحفظه ثم يلقيه على الطلاب ، فهو أستاذ لا يحسن العملية التعليمية ، وينقص من قدر نفسه أمام طلابه ؛ لأنه إذا كانت المسألة مجرد قراءة فإن بعض الطلاب عندهم نفس القدرة على القراءة والفهم ، فلا يكون هناك فرق بين الأستاذ وبين كثير من الطلاب .

وهكذا فعلم مناهج البحث يمكن الإنسان من امتلاك مهارات خاصة تجعله قادراً على العطاء ، وعلى إضافة الجديد إلى رصيد الفكر الإنساني .

* * *

---

(١) د . محمد زيان عمر ـ البحث العلمي مناهجه وتقنياته ص (٤٦) .

(٢) د . جابر عبد الحميد ـ مناهج البحث في التربية وعلم النفس ص (٢٤) .

الفصل الثاني
تاريخ منهج البحث العلمي

يحاول كثير من الباحثين أن يرتدوا بتاريخ نشأة علم مناهج البحث إلى روجر بيكون وفرنسيس بيكون وبطرس ريموس وجون استيوارت مل، فهم ينسبون إلى الأول وضع البدايات الأولى ، وإلى الثاني تفصيل المنهج ، وإلى الثالث إتمامه والوصول به إلى نهاياته ، وهم بهذه المحاولة إنما يخرجون على أصول البحث العلمي النزيه ، فليس من نزاهة الباحث وهو يقرر حقيقة من الحقائق أن يأخذ لقطة واحدة من لقطات التاريخ ، ثم يبني عليها أبحاثه ونتائجه دون أن يستقرأ التاريخ كله فيما يتعلق بموضوع بحثه وخصوصاً وهو يقرر تاريخ علم من العلوم ، أو تاريخ فكرة من الأفكار ، وإذا كنا نلتمس العذر لمفكري الغرب النصراني في نسبة هذا العلم إليهم لجهل منهم بحقائق الإسلام ومراحل تاريخه ، أو لحقد في نفوسهم يمنعهم من قول الحق ، فإننا لنعجب أشد العجب من كتاب عرب ومسلمين يأخذون ما يقرره مفكرو الغرب في هذه القضية مأخذ التسليم ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء الرجوع إلى كتب التراث الإسلامي ، والتي تهدم كل الدعاوي التي تحاول أن ترتد بهذا العلم إلى فلاسفة وعلماء الغرب النصراني .

ولذلك سوف نحاول بمشيئة الله وتوفيقه أن نؤرخ لهذا العلم تأريخًا موضوعيًا ، حيث نستقرأ باختصار تاريخ الفكر الإنساني بحثا عن بذور هذا العلم .

وقبل أن نبدأ هذه الخطوة نحب أن نقرر أن **علم مناهج البحث وليد الحضارة الإسلامية** ، وأن مفكري الإسلام هم الذين خططوا له ووضعوا أسسه وبناءاته الضرورية ولكن حين نعود إلى **الحضارات السابقة** على الإسلام نجد **عند بعضها إشارات** عابرة إلى منهج البحث ، وبذور غائرة في طيات الأرض لم تثمر ثمارها المرجوة ، ولكن هذا لا يعفينا من الإشارة إليها .

ـ أما عن **الحضارة المصرية القديمة** ، فمع تقدمها في العلوم التطبيقية كما تشهد بذلك آثارها في علوم الهندسة والطب والزراعة ، إلا أن علماء هذه الحضارة لم يتركوا لنا قوانين أو نظريات تفسر لنا وسيلتهم ومنهجهم في الوصول إلى المعرفة ، ولم ينظموا معلوماتهم بالتالي تنظيما منهجيا سليما[1] ، وربما كان لهم شيء من ذلك إلا أنه اندثر مع ما اندثر من آثارهم .

ـ وأما عن الحضارة **الهندية والصينية القديمة** فقد وجدنا فيها بذوراً لمنهج واحد من مناهج البحث العلمي وهو المنهج المنطقي الذي كتب عنه الحكيم الصيني

(١) د . محمد زيان عمر ـ المرجع السابق ص ٣٢ .

« كونفشيوس »[1] كما كتبت عنه المدرسة الهندية التي تدعى « سامكيها » وإن كانت هذه الكتابات لم تحدد بصفة أساسية كل خطوط المنهج المنطقي ، وإنما وردت كأفكار متناثرة عن الحدود وبعض الاستدلالات المنطقية .

ـ وأما الحضارة **اليونانية** فقد مرت بمراحل متعددة منها : **مرحلة** ما قبل الفلسفة وهي مرحلة لم تتعد القصائد والأشعار والقصص الدينية المليئة بالخرافات والأساطير مما يتعذر علينا أن نستخلص من تفكير هؤلاء بذورا للمنهج[2] .

وكذلك قل عن **المرحلة التالية** وهي مرحلة ظهور الفلسفة المادية الأولى في اليونان والتي سار فلاسفتها على غير أساس من قوانين البحث العلمي .

ثم ظهر ثلاثة من فلاسفة اليونان الذين يعتد بكلامهم ، وهم **سقراط وأفلاطون وأرسطو** ، وإليهم يرجع الفضل في وضع بعض خطوط البحث العلمي ، حيث صنفوا العلوم وحددوا لكل علم المنهج الملائم لبحثه ، وإن كان ذلك بصورة بسيطة والحضارة اليونانية بصفة عامة قامت على أساس من المنهج العقلي المنطقي الذي حدد أرسطو موضوعاته ، وفصل مسائله وأكملها ، وأظهره علما متكاملا ، ومع أن أرسطو قد أشار إلى المنهج التجريبي من خلال حديثه عن الاستقراء التام والناقص إلا أنه لم يهتم بالتجارب الواقعية ، ولم يفصل المنهج التجريبي ويحدد خطواته ، فالفضل في ذلك إنما يرجع إلى مفكري الإسلام ، كما أن الفكر اليوناني كان يرى أن العلم يبدأ بالكلي لا بالجزئي ، بينما بدأ الفكر الإسلامي من الجزئي حتى وصل إلى الكلي ، وبذلك حقق النظرة الموضوعية إلى الظواهر الطبيعية[3] .

ـ أما بالنسبة للحضارة **الرومانية** ، فقد كان الرومان هم ورثة المعرفة اليونانية ، وكان إسهامهم يتركز في الممارسة العملية أكثر من متابعتهم للمعرفة ذاتها ولقد كان الرومان صناع قوانين ، ومهندسين أكثر منهم فلاسفة ومفكرين متأملين[4] **وبعد الحضارة الرومانية أفل نجم أوربا** ، ودخلت في عصور الجهالة في الوقت الذي بزغت فيه شمس الإسلام .

الحضارة الإسلامية ومناهج البحث :

لقد كانت هناك عوامل كثيرة ساعدت على ظهور هذا العلم في العالم الإسلامي ومنها:

---

(١) د . محمد غلاب ـ الفلسفة الشرقية ص (٢٢٩) وما بعدها ، وقارن (٣٧) جـ ١ من تاريخ الفلسفة العربية .

(٢) راجع ص (٣٠) من كتابنا « المنطق واتجاهاته القديمة والحديثة والمعاصرة » .

(٣) أنور الجندي ـ أخطاء المنهج الغربي الوافد ص (٨) بيروت سنة ١٩٧٤ .

(٤) د . أحمد بدر ـ المرجع السابق ص (٧٧) .

١ ـ *القرآن الكريم* : فقد تحدث عن مناهج المعرفة البشرية ، وحدد الموضوعات الملائمة لكل منهج ، ودفع الناس إلى دراسة الكون ، وإلى البحث في الظواهر الحسية ، وإلى إعمال الفكر والعقل .

٢ ـ *السنة النبوية المطهرة* : التي دفعت إلى العلم وحثت الناس على تحصيله .

٣ ـ *حرية الرأي والبحث العلمي* : التي كفلها الإسلام ، فقد تمتع العرب بحرية رأي ليس لها نظير ، فلم يكونوا يخشون السلطان أو الحكام ، وإنما كتبوا مباحثهم تحت رعاية وتقدير هؤلاء الحكام .

٤ ـ *استعلاء العلماء المسلمين عن الترف والمال* : حتى كان الحسن بن الهيثم يقول : « يكفيني قوت يوم » .

٥ ـ *الاستعداد الذهني والصبر والجلد على العمل والمناخ العلمي المناسب*[١] .

٦ ـ *تعلم العلم للعمل والنظر إليه كهدف وغاية في حد ذاته دون قصد إلى أي هدف آخر من جاه أو سلطان أو رياسة*: حتى قال الإمام الغزالي : العلماء يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة .

ويقول بشر بن الحارث : من طلب الرياسة بالعلم فإنه ممقوت في السماء والأرض[٢].

وبدافع من هذه العوامل وقف علماء الإسلام أمام منطق أرسطوا وقفة ناقدة كشفت عن كثير من عوراته ، وبناء عليه وضعوا منطقهم الخاص أو منهج البحث الملائم لحضارتهم الجديد ة وهو المنهج التجريبي الواقعي ، ويعد الكندي فيلسوف العرب الأول هو أول من وضع لبنة في بناء علم مناهج البحث في العالم الإسلامي حيث أشار إلى أن لكل علم موضوعا خاص به ، ومنهج بحث يلائم هذا الموضوع ، ونبه على عدم الخلط بين مناهج البحث في العلوم حتى لا يقع في الخطأ[٣] .

ثم جاء من بعده الفارابي فوضع تصنيفه للعلوم من خلال كتابه « إحصاء العلوم » الذي يقول فيه : « قصدنا أن نخص العلوم المشهورة علما علمًا ، ونعرف جل ما يشتمل عليها كل واحد منها ، وأجزاء مما له منها أجزاء ، وجل ما في كل واحد من أجزائه »[٤] .

وبناء على ذلك وضع علماء الإسلام لكل علم منهجه الخاص به .

---

(١) المرجع السابق ص (٧٩) .

(٢) راجع البحوث الأدبية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص (١٣١) .

(٣) راجع كتاب الكندي إلى المعتصم بالله ص (١١٢) .

(٤) راجع كتاب « إحصاء العلوم » للفارابي .

ـ فعلماء الحديث وضعوا منهج البحث في علم الحديث ، وهو منهج علمي غاية في الدقة والعبقرية حيث قسموا الأحاديث إلى درجات ومراتب على حسب قوتها وضعفها ، وحددوا صفات من تقبل روايته ، ومن ترفض روايته ، ودرجات الرواة[1] ، واعتمدوا المنهج العلمي في نقد مصدر الرواية ، واعتمدوا منهج الشك في التجريح والتعديل ، مما يجعلنا نقرر مطمئنين أن كل ما كتبه فلاسفة الغرب وعلماؤه في منهج البحث التاريخي ودراسة الوثائق لا يعدوا أن يكون قبسًا مما كتبه علماء مصطلح الحديث في العالم الإسلامي .

ـ وعلماء الكلام وضعوا منهجًا خاصًا يقوم على أدلة وبراهين نابعة من القرآن الكريم.

ـ وعلماء الاجتماع وضعوا لعلمهم منهجا خاصا يقوم على الاستقراء الواقعي والإحصاء للأمم ولظروف نهضتها واندثارها ، وظهر منهم علماء ينتقلون في البلدان منفذين قول الله تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا ﴾ يزورون بلدانا وشعوبا يجمعون عاداتها وتقاليدها ، ومنهم البيروني والمسعودي وابن فضلان الذي أوفده الخليفة المعتصم إلى روسيا فكتب كتابا عن (البلغار) ، وذكر أحوالهم وعقائدهم وتقاليدهم ، ثم ظهر ابن خلدون الذي وضع منهج البحث في علم الاجتماع ، وهو المنهج التجريبي الواقعي على خلاف طريقة فلاسفة اليونان الذين كانت أبحاثهم الاجتماعية تدور حول المدينة الفاضلة المثالية بعيدا عن الواقع ، واعتمادا على التأمل والتصور العقلي البعيد عن الاستقراء العلمي التجريبي[2] .

ـ كذلك وضع الأدباء مناهج البحث الأدبي الخاص بهم ونذكر على سبيل المثال لا الحصر المنهج الرائع الذي وضعه الجاحظ في التأليف الأدبي حيث ينصح من ينشد المنهج السليم في الكتابة : « بأن يكون رقيق حواش اللسان ، عزب ينابيع البيان ، إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى، ولا يكلم العامة بكلام الخاصة ، ولا الخاصة بكلام العامة».

وكان الجاحظ يدفع الباحثين دائما إلى بذل الجهود والابتكار والتجديد حتى كان يقول : « إذا سمعت الرجل يقول ما ترك الأول للآخر شيئا ، فاعلم أنه ما يريد أن يفلح[3] وقد ألف الجاحظ ما يقرب من ثلاثمائة وستين كتابًا وبحثًا ، ومنها كتاب الحيوان الذي اعتمد فيه على المنهج الحسي والاستقرائي الواقعي والذي حدد بناء عليه صفات وخصائص الحيوانات ، فقد كان يسقي الخمر للحيوانات لكي يرصد النتائج ، ويجري تجارب على ذكر النعام ؛ ليعرف كيف يبتلع الجمر والحجارة المحماة والحديد والزجاج ، كما كان يقوم

---

(١) راجع كتاب تدريب الراوي للسيوطي .

(٢) د . محمد المبارك ـ الإسلام والفكر العلمي ص (١٢٤) .

(٣) د . مصطفى الشكعة ـ مناهج التأليف عند العلماء العرب ص (٦٤) ـ بيروت ١٩٨٢ .

بالتجارب في الإنسان والحيوان والنبات ؛ بل ويدفع الناس أن يجربوا بأنفسهم[١] .

ومن علماء المسلمين من وضع أصول التأليف ، وعمل البحوث ، وحدد الهدف منها؛ لكي تكون نبراسًا للباحثين ، ونذكر منهم حاجي خليفة الذي يقول :

« إن التأليف على سبعة أقسام لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي :

* إما شيء لم يسبق إليه .. فيخترعه .
* أو شيء ناقص يتممه .
* أو شيء مغلق يشرحه .
* أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بمعانيه .
* أو شيء متفرق يجمعه .
* أو شيء مختلط يرتبه .
* أو شيء أخطأ فيه مصنف فيصلحه » .

وقد اشترط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص ، وهجر اللفظ الغريب وأنواع المجاز ، بالإضافة إلى حسن الترتيب ووجازة اللفظ ، ووضوح الدلالة[٢] ، كما يعد كتاب حاجي خليفة « كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » ، وكتاب « الفهرست » لابن النديم ، وكتاب « مفاتيح العلوم » للخوارزمي وغيرها من أوائل الكتب التي كتبت عن البيلوجرافيا ، والفهرسة الوصفية للكتب والمؤلفين .

وأخيراً فقد قام العلماء التجريبيون المسلمون بالتعاون مع علماء أصول الفقه بوضع المنهج العلمي التجريبي ، وتحديد كل خطواته ومراحله وشروطه ، ويكفينا في هذا أن نشير إلى كتاب القانون في الطب لابن سينا ، فقد فعل فيه كل خطوات المنهج التجريبي ، ولا نريد أن نتحدث كثيراً عن هذه النقطة هنا ؛ لأننا سوف نفصلها من خلال حديثنا عن المنهج الاستقرائي إن شاء الله .

وليعلم كل من يكتب في علم مناهج البحث أن هذا العلم هو علم إسلامي نشأة وتكوينًا وتخطيطًا ، وقد كتب كثير من الباحثين رسائل علمية في هذا الموضوع منها «مناهج البحث العلمي عند العرب » للدكتور جلال عبد الحميد موسى ، وكتاب « مناهج البحث عند مفكري الإسلام » للدكتور علي سامي النشار ، وكتاب « مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي » (لروزنتال) ، « وجهود المفكرين المسلمين في الرد على منطق اليونان » لمؤلف هذا الكتاب .

---

(١) راجع ص (٥١) من كتاب البحوث الأدبية للدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .

(٢) قارن كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون جـ ١ ص (٣٥) الطبعة الثانية .

بل إن علماء المسلمين لم يكتفوا بوضع أسس المنهج التجريبي فقط ، وإنما تعدوا مرحلة التنظير والتقعيد إلى مرحلة التطبيق ، فأجروا التجارب ، ووصلوا إلى كثير من المبتكرات العلمية في علوم الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والصيدلة وغيرها .

فالرازي على سبيل المثال هو أول من ابتكر خيوط الجراحة من أمعاء ، وأول من استخدم المراهم في علاج الأمراض ، وأول من شرح مرض الجدري وميزه عن الحصبة ، وله في ذلك كتاب « الحاوي » الذي يقع في عشر مجلدات ، وقد ترجم إلى اللاتينية ، وقد وأصبح المنهج المعتمد للتدريس في جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر.

وكذلك ابن سينا الذي كان طبيباً بارعًا ، واكتشف كثيراً من الأمراض وأساليب العلاج ، ودون ذلك في كتابه القيم « القانون » وقد ترجم أيضًا إلى اللغة اللاتينية ، وظل يدرس في جامعات أوروبا لفترة طويلة .

وأضف إلى ذلك مبتكرات ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية(١) ، والخوارزمي في مجال الرياضة ، والحسن بن الهيثم ، وجابر بن حيان في الكيمياء ، وعلم الضوء وغيرهم من العلماء والباحثين الذين وضعوا أسس النظريات العلمية التي قامت عليها الحضارة الأوربية .

وبصفة عامة ، فقد قامت الحضارة الإسلامية على أساس من التخصص والمنهجية ، في الوقت الذي كانت فيه أوربا تغط في ظلام العصور الوسيطة ، وكان حكامها ونبلاؤها يحاولون أن يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم .

وفي أواخر القرن الحادي عشر الميلادي أفاق الغرب من غمة العصور الوسطى ليجد نفسه أمام حضارة إسلامية شامخة البناء ، وأمام منهج علمي كامل ، فراحوا يغرفون من هذه الحضارة ، ويرسلون طلاب العلم والمعرفة ؛ لكي يتتلمذوا على يد مفكري الإسلام ، فجاء روجر بيكون وبطرس ريموس وغيرهم ممن وضعوا أسس النهضة العلمية في أوربا ، جاءوا إلى العالم الإسلامي ، وتعلموا اللغة العربية ، وترجموا ، ونقلوا أمهات كتب المناهج ، مما كان سبباً في قيام عصر النهضة والثورة على المنطق الأرسطي الذي تبنته الكنيسة ، ووضعوا المنطق التجريبي على يد فرنسيس بيكون وجون استيوارت مل ، الذي لم يكن لهم فيه إلا الشرح والتفصيل لما وضعه علماء الإسلام سابقًا .

ولكن المؤسف بعد كل ذلك أن ينسب علم مناهج البحث إلى فلاسفة الغرب النصراني ، ونتناسى عظماء الإسلام الذين وضعوا أسسه .

حقًا إن علماء الغرب قد أضافوا وشرحوا وفصلوا ، ولكن هذا لا يعني أنهم مبتكروا هذا العلم ، فالفضل إنما ينبغي أن يعود إلى أهله .

---

(١) د. صلاح عبد القادر البكري ــ القرآن وبناء الإنسان ص (٧٨) .

فلولا البذور الأولى التي وضعها العلماء المسلمون في هذا العلم ، لتأخرت النهضة الأوربية قرونًا عديدة .

ونكتفي بهذا القدر من الحديث عن تاريخ هذا العلم لكي ننتقل إلى الحديث عن أنواع البحوث العلمية .

* * *

الفصل الثالث
أنواع البحوث العلمية ومناهجها

تعددت مناهج الباحثين في الحديث عن أنواع البحوث العلمية :

ـ فمنهم من قسمها إلى **أنواع ثلاثة** :

أ ـ البحث بمعنى التنقيب عن الحقائق دون محاولة التعميم أو استخدام هذه الحقائق في حل مشكلة معينة .

ب ـ البحث بمعنى التفسير النقدي ، وهو الدراسات التي تعتمد على التدليل المنطقي، وتحليل الأفكار ، وهو الذي يجري في سائر البحوث النظرية .

جـ ـ البحث الكامل وهو الذي يهدف إلى حل المشاكل ، ووضع التعميمات بعد التنقيب الدقيق عن جمع الحقائق بالإضافة إلى تحليل الأدلة[١] .

ـ ومنهم من قسمها على أساس الظواهر التي تدرسها البحوث إلى طبيعية وبيولوجية واجتماعية .

ـ ومنهم من قسمها على أساس المنهج إلى بحوث وصفية وتاريخية وتجريبية[٢] .

ونلاحظ أيضًا على هذه التقسيمات التداخل الواضح ، إذ يمكن إدخال البحوث البيولوجية في الطبيعة ، كما أن البحوث التاريخية هي نوع من البحوث الوصفية ، فهي تصنف وتسجل أحداث التاريخ والوقائع .

ومن هنا كان علينا أن نبين أنواع البحوث بيانًا يحاول أن يتلافى ما وجه إلى المحاولات السابقة من نقد ، حيث نقسمها على اعتبارات وأسس مختلفة .

فباعتبار الكمال والنقص نقسمها إلى أبحاث كاملة ، وأبحاث تمهيدية غير كاملة .

وباعتبار منهج البحث نقسمها إلى أبحاث نظرية وأبحاث عملية .

ثم نقسم كل نوع من هذه الأنواع إلى أفراده الجزئية ، ونبدأ بالحديث عن الأبحاث الكاملة حيث نبين خصائصها وأنواعها وأفرادها ومنهجها .

---

(١) د . أحمد بدر ـ أصول البحث العليم ومناهجه ص (٢٢) وما بعدها .

(٢) د . جابر عبد الحميد ـ المرجع السابق ص (٣٨) .

النوع الأول الأبحاث الكاملة :

وهي التي يصل فيها الباحث إلى معرفة جديدة ، وإضافة حقيقية إلى رصيد المعرفة الإنسانية ، وذلك مثل أبحاث الماجستير والدكتوراة ، وسائر الأبحاث التخصصية التي لا تخلو من الخصائص الآتية : ـ

أ ـ اكتشاف حقيقة جديدة ، بمعنى أن يكون البحث جديداً في موضوعه ، سواء كان لم يبحث من قبل ، أو بحث على أساس خاطىء ، وهذا ما أشار إليه ابن النديم سابقًا .

ب ـ التمحيص النقدي للبراهين والأدلة المفضية إلى النتائج التي يتوصل إليها الباحث.

جـ ـ ثم كيفية الاستفادة من الحقائق الجديدة في استخدامها استخداماً عمليا في الحياة ، أو في معالجة بعض القضايا والمشكلات الفكرية التي تسود في المجتمع(١) .

ويشترط للبحوث الكاملة الشروط التالية : ـ

١ ـ أن تكون هناك مشكلة تستدعي الحل ، فإذا لم يكن هناك مشكلة فلا يوجد داع حتى للتفكير في القيام ببحث ما .

٢ ـ عرض المشكلة وتمثلها ووضع الفروض والاحتمالات لحلها .

٣ ـ الاهتمام بالتعاريف وتحديد المصطلحات المستخدمة في حل هذه المشكلة .

٤ ـ الاستدلال والبرهنة على الحقائق التي تم إثباتها .

٥ ـ صياغة الأفكار بطريقة منطقية واضحة .

٦ ـ إصدار الأحكام واستخلاص النتائج .

الفرق بين الماجستير والدكتوراة :

بعد أن يكون الطالب النابه قد انتهى من الحصول على الليسانس أو البكالريوس يحاول الالتحاق بأقسام الدراسات العليا ، والتي تختلف في طبيعتها ، فبعض هذه الأقسام يعد الطالب إعداداً علمياً جديداً لمدة سنة أو سنتين ، يمتحن في نهايتها ، وبعد نجاحه وحصوله على الدبلومة يستطيع أن يختار موضوعاً يسجل فيه للماجستير ، وبعد الانتهاء منه والحصول عليه يسجل لدرجة الدكتوراة .

والفرق بين الماجستير والدكتوراة من نواحي عدة منها : ـ

ـ أن الهدف من الماجستير هو أن يحصل الطالب على تجارب في البحث تمكنه من

---

(١) محمد زيان عمر ـ ص (٥١) .

مواصلة البحث للتحضير للدكتوراة ، كما تعد رسالة الماجستير امتحانًا يعطي فكرة واضحة عن مواهب الطالب ، ومدى صلاحيته للتحضير للدكتوراة ، ومن هنا تشترط بعض الأقسام أن يحصل الطالب على درجة جيد على الأقل في الماجستير لإمكانية التسجيل للدكتوراة .

ـ كما أن الماجستير يساعد الطالب الكفء لكي يشعر بلذة البحث والدرس من أجل الحصول على الدرجات الأعلى .

ـ وتتميز الدكتوراة بأنها امتداد لبحث الماجستير ، إذ أنها التخصص الأضيق ، ومن ثم فهي ذات طابع أعمق ، فقد يكون الماجستير موضوعًا عامًا ، ثم تأتي الدكتوراة كموضوع خاص ومركز وأشد عمقًا .

كذلك يفرق بينهما من حيث منهج البحث ، إذ أن الدكتوراة لابد أن تعتمد على مراجع أوسع ، وتحتاج إلى براعة في التحليل وتنظيم المادة ، ويجب أن نعطي فكرة كافية عن أن مقدمها يستطيع الاستقلال بعدها في البحث ، بحيث يكون قادرًا على أن يخرج أعمالاً علمية صحيحة دون أن يحتاج إلى من يشرف عليه ويوجهه (١) ، وبحيث يستطيع أيضًا أن يقوم بمهمة التدريس للطالب الجامعي .

ولذلك فمن الأمانة العلمية التي سنحاسب عنها أمام الله أن لا يصل إلى هذه الدرجة إلا الإنسان الصالح بالفعل لتحمل مسئوليتها ، وإلا خرجنا أجيالاً ضعيفة كضعف غير المؤهلين لتحمل هذه المسئولية .

أما درجة الماجستير فقد يتجاوز فيها ما لا يتجاوز في الدكتوراة ؛ نظرًا لأن الباحث أمامه فرصة أخرى لإعداد نفسه .

ومن الباحثين من فرق بينهما على أساس الكم والحجم ، فقال بأن الماجستير يحسن أن يكون مائتي صفحة (أربعين ألف كلمة) ، وأن الدكتوراة يحسن أن تكون ثلاثمائة صفحة (ستين ألف كلمة) .

والواقع أن هذه التفرقة غير ذات موضوع ، إذ أن الذي يحدد حجم الرسالة هو طبيعة موضوعها ، فالموضوعات النظرية تختلف عن الموضوعات العلمية ، وهكذا فالحجم مرجعه نوع الموضوع الذي اختاره الباحث لنفسه .

كذلك فرق بعضهم بينهما ، بأن الماجستير مجرد تجميع للمعلومات ، والدكتوراة إضافة جديدة للمعرفة .

والحق أن كلا منهما إنتاج رفيع ، ومساهمة ثقافية ، وإضافة جديدة للمعرفة ، إذ يبدأ الباحث في كل منهما من حيث انتهى غيره من الباحثين ليسير بالعلم خطوة أخرى ،

---

(١) أحمد شلبي ـ كيف تكتب بحثًا أو رسالة ص (١٨) .

وليسهم في النهضات العلمية بنصيب(١) .

أقسام الأبحاث الكاملة :

تنقسم الأبحاث الكاملة من حيث طبيعة البحث إلى : ــ

(أ) أبحاث الموضوع .

(ب) أبحاث التحقيق .

(أ) أبحاث الموضوع :

وهي سائر الأبحاث التي يختار الباحث فيها مشكلة من المشكلات التي تحتاج إلي البحث ، ثم يحددها ويضع لها العنوان الملائم ، ويجمع مادتها ، ويصور خطتها ، ويكوّن هو الموضوع بنفسه من الألف إلى الياء .

(ب) بحاث التحقيق :

وهي الأبحاث التي تحاول إحياء كتب التراث التي تركها العلماء القدامى ، وما زالت مخزونة في دور الكتب بخطوطها الأصلية أو بنسخها المنقولة عن الخط الأصلي ، ويحاول الباحث أن يخرج الكتاب مطابقًا لأصل المؤلف ، أو الأصل الصحيح الموثوق به إذا فقدت نسخة المصنف(١) .

إذًا فالمخطوطة : هي كتاب لم يتم طبعه ، ولا يزال بخط المؤلف ، أو بخط من سمعه ونقله عنه ، أو أخذت عن الأصل صورة شمسية ، وتوجد هذه المخطوطات في المتاحف والمكتبات العلمية مثل مكتبة الجامع الأزهر ، ودار المخطوطات العامة ، ومكتبة الجامعة العربية بمصر ، ومكتبة الجماعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، بالإضافة إلى مكتبات جامعات أوربا المليئة بآلاف المخطوطات الإسلامية التي سرقت من مكتبات العالم الإسلامي أثناء الحروب الصليبية .

ويشترط لمن يقوم بأبحاث التحقيق الشروط الآتية :ــ

١ ــ أن يكون عالمًا باللغة العربية ــ ألفاظها وأساليبها .

٢ ــ أن يكون ذا ثقافة عامة .

٣ ــ أن يكون على علم بأنواع الخطوط العربية وأطوارها التاريخية .

٤ ــ أن يكون على دراية كافية بعلم المكتبات والفهارس .

٥ ــ أن يكون عارفًا بقواعد تحقيق المخطوطات ، وأصول نشر الكتب .

---

(١) حسين عبد الحميد رشوان ــ ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي ص (١٣٩) .

(٢) د . عبد الهادي الفضلي ــ تحقيق التراث ص (٣٦) مكتبة العلم بجدة .

٦ ـ أن يكون متخصصًا في موضوع المخطوط ، فإذا كان يريد تحقيق مخطوط في المنطق فعليه أن يكون ملمًا إلمامًا كاملاً بعلم المنطق وتاريخه وتطوره ، وإذا كان يريد أن يحقق مخطوطًا في الفقه فعليه أن يكون متخصصًا في الفقه ، وهكذا .. لا بد من التخصص الدقيق في موضوع المخطوط .

منهج التحقيق :

يعتمد منهج التحقيق على الخطوات التالية :

أولاً : التأكد من أن الكتاب لم يحقق من قبل ، وذلك بالرجوع إلى فهارس دور الكتب والمخطوطات والمجلات العلمية المعنية بهذا الشأن .

ثانيًا : البحث عن النسخ الأخرى للمخطوط ، فقد تكون هناك نسخة بخط المؤلف ، ونسخة أخرى أملاها المؤلف على تلاميذه ، ونسخة ثالثة منقولة عن الأصل ، وقد تكون هناك نسخ أخرى منسوخة بعد عصر المؤلف .

ثالثًا : الموازنة بين النسخ ، والمفاضلة بينهما بحيث يقدر الباحث قيمة كل نسخة ؛ لكي يحدد أي النسخ هي الأصل وأيها هي الفرع .

رابعًا : تحقيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

خامسًا : ضبط عنوان الكتاب .

سادسًا : مقابلة النسخ لحصر وجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف بينهما ، وإثبات ذلك في الهامش .

سابعًا : تخريج الآيات والأحاديث والنصوص الواردة بالكتاب المحقق إذا ثبت أن مؤلفه قد استقاها من مؤلف آخر ، فالتخريج هو عبارة عن تحديد مواطن النقل في المخطوط ، ونسبتها إلى مصادرها وأصحابها(١) .

ثامنًا : الترجمة للأسماء الواردة بالمخطوط بذكر نبذة قصيرة عن المولد والحياة والأعمال العلمية .

تاسعًا : التعليق وذلك بشرح الكلمات والأفكار الغامضة الواردة في النص .

عاشرًا : التقديم وهو كتابة مقدمة عامة تحتوي على تعريف واضح بموضوع الكتاب ، وأهميته في مجاله ، ومقارنة الكتاب بما قبله وما بعده من مؤلفات مماثلة له ؛ لإبراز أهميته العلمية والمنهجية ، والتعريف بالمؤلف تعريفًا وافيًا بالحديث عن نشأته وتطوره وعصره من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ثم ملخص واف وشرح موجز لأهم موضوعات الكتاب ، وما احتوى عليه ، بأسلوب واضح قريبإلى الأفهام .

---

(١) د . حسين محفوظ ـ عالم الكتب جـ ١ ص (٦٥٠) .

ثم بعد ذلك يتحدث عن وصف المخطوطة ، وعدد صفحاتها ومقاسها وعدد الأسطر في كل صفحة ، وعدد الكلمات في كل سطر ، ونوع الخط ، ونوع الحبر والورق ، وبيان طريقة الباحث في التحقيق وما عاناه في ذلك[1] .

قيمة أبحاث التحقيق :

يري بعض الباحثين أن أبحاث التحقيق مطلب حيوي وهام ، ولكن بدلا من جعلها موضوعات تنال بها درجات الماجستير والدكتوراة ينبغي أن تقوم بهذه المهمة لجان تحقيق التراث ، بحيث يتفرغ الباحثون لتنسيق الأبحاث الموضوعية والقرآنية خصوصاً ، بحيث يضعون تخطيطًا علميًا لتجلية علوم القرآن الكريم ، ووجوه إعجازه ، بحيث تساهم في تنفيذه جميع الكليات المعنية بالدراسات الإسلامية[2] .

والواقع أن هذه وجهة نظر طيبة ، ولها وجاهتها إلا أن لجان تحقيق التراث قد لا تتمكن من القيام بأعباء هذه المهمة الكبرى ، وإلا ضوعف عددها عشرات المرات .

وينظر بعض الباحثين إلى أبحا التحقيق نظرة تقلل من قيمتها حيث يقولون : إنها مجرد طبع ونشر كتاب ، وهو عمل لا يرتقي إلى الحصول على درجة علمية .

والواقع أن أي عمل علمي مهما كان إنما يحتاج إلى مجهود ، ولا يقدر هذا المجهود إلا من عاناه بالفعل .

إن مجرد القراءة في مخطوط من المخطوطات ، وحل طلاسمه ، يعد مجهودًا جباراً يحتاج إلى مثابرة وتأن وصبر ودقة ، ولا يقل هذا عما يبذل من مجهودات في الأبحاث الموضوعية ، إلا أن الرؤية أمام الباحث التحقيقي تكون أوضح من الباحث الموضوعي الذي يحاول أن ينشأ موضوعًا جديدا من العدم ، ويضيف إلى رصيد الفكر الإنساني حقائق جديدة ، ويعالج مشكلات اجتماعية وفكرية ومادية قد يكون المجتمع في حاجة ماسة إليها .

وليس معنى هذا أننا لا نعترف بأبحاث التحقيق ؛ لأن المحقق يبرز لنا كتابًا جديدًا ، قد يفيد غيره من الباحثين .

إلا أننا نريد أن نقول : إن الباحث ينبغي عليه أن يبحث عن موضوع أولاً ، فإذا لم يستطع فلا بأس من الاتجاه إلى تحقيق المخطوطات ، وعلى المحقق أن يعلم أنه كالجندي المجهول حيث يتذكر الناس الكتاب وصاحبه الأساسي ، ثم يتناسون من أخرج هذا الكتاب من الظلمات إلى النور .

---

(١) راجع كمثال علمي على ذلك مقدمة كتاب « التوحيد » لأبي منصور الماتريدي ــ تحقيق الدكتور فتح الله خليف .

(٢) الأستاذ أحمد عز الدين خلف الله ــ القرآن يتحدى ص (٣٥٢) .

أنواع الأبحاث الكاملة باعتبار منهج البحث :

تتنوع الأبحاث الكاملة باعتبار منهج البحث إلى نوعين : ـ
(أ) أبحاث نظرية .
(ب) أبحاث علمية تجريبية .

(أ) الأبحاث النظرية :

وهي التي تجرى غالبًا في مجالات الأديان والفلسفات والآداب والتاريخ وسائر الدراسات الإنسانية ، وهي أبحاث تعالج مشكلات فكرية واجتماعية وعقدية ، يعاني منها المجتمع ، ويحتاج إلى حل واضح فيها .

وتتنوع الأبحاث النظرية من حيث موضوعها ونوعية المادة التي تدور حولها إلى أنواع كثيرة نذكر بعضها للطالب المبتدىء .

أولا : أبحاث في مجال الدراسات الإسلامية :

وهي المتعلقة بموضوعات الدراسات القرآنية مثل التفسير وعلم القرآن والدراسات المتعلقة بسنة رسول الله ﷺ رواية ودراية .

وكذلك الدراسات المتعلقة بالفقه وأصوله والسياسة الشرعية .

ويضاف إلى ذلك الأبحاث المتعلقة بالعقيدة الإسلامية ، وعلم الكلام وتاريخه ومشكلاته ومباحثه .

وتتميز هذه الدراسات بأن منطلقها الرساسي هو الكتاب الكريم ، والسنة النبوية المطهرة باعتبارهما المصدرين الأساسيين للدراسات الإسلامية ، ثم العقل باعتباره مصدر القبول والفهم .

ثانيا : أبحاث في مجال الأديان بصفة عامة :

وهي المتعلقة بالملل والنحل والمذاهب من حيث تاريخها ونشأتها وتطورها ، والعقائد التي تدور حولها .

ثالثا : الأبحاث الفلسفية والفكرية :

وهي المتعلقة بتاريخ الفلسفة ، وموضوعها ، وقضاياها ، ومدارسها ، واتجاهاتها ، وفلاسفتها ، وعلم المنطق ، ومناهج البحث العلمي ، والمذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة .

رابعا : الأبحاث اللغوية والأدبية :

وهي المتعلقة بمجالات النحو والصرف والشعر والنثر والبلاغة والنقد وغير ذلك من

علوم اللغة[1] .

خامسا : الأبحاث المتعلقة بالظواهر الشائعة في المجتمعات ، ومحاولة الكشف عن أسبابها ونتائجها وعلاجها :

ويعد ابن خلدون واضع أسس البحث في علم الاجتماع حيث أشار أن هناك أنواعا مختلفة من الظواهر الاجتماعية يمكن إخضاعها للبحث والدراسة ، مثل الظواهر السياسية والبشرية والعادات والسير والأخلاق ، وأسس بناء المجتمعات وأسباب انهيارها ، وغير ذلك مما أشار إليه ابن خلدون[2] .

ومع أننا وضعنا علم الاجتماع ضمن العلوم النظرية نظرا لمنهج البحث الذي يعتمد عليه ، وهو المنهج العقلي الاستنباطي غالبا ، إلا أن بعض العلماء المحدثين حاول أن يطبق عليه المنهج التجريبي ، بالإضافة إلى بعض المناهج الجزئية التي سنشير إليها إن شاء الله .

سادسا : الأبحاث الاقتصادية والإدارية :

وهي المتعلقة بالظواهر الاقتصادية ، وتحديد القوانين التي تنظمها ، بالإضافة إلى الدراسات الخاصة بعلوم الإدارة .

سابعا : الأبحاث التاريخية :

وهي المتعلقة بآثار الأمم والمبادىء التي تحكم حركة التاريخ ، ويقول ابن خلدون : « إن فن التاريخ فن عزيز المذهب ، جم الفوائد ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم .

وبصفة عامة فالتاريخ هو سجل الفكر الإنساني ، وقد أكد القرآن الكريم على أهمية دراسة التاريخ فقال : ﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾[3] ، وقص القرآن الكريم قصص الأنبياء السابقين، وما حدث لأممهم ، ووجه أنظار الباحثين إلى كثير من الموضوعات الجديرة بالنظر والدراسة .

ثامنا : المباحث الجغرافية والفلكية ، وسائر الأبحاث التي تتعلق بالظواهر الطبيعية والجوية التي تسود الكون .

تاسعا : الأبحاث التربوية والنفسية :

وهي المتعلقة بأصول التربية وتاريخها ، ومناهج المربين ، بالإضافة إلى البحث في النفس الإنسانية وتحديد غرائزها ونوازعها وأمراضها وعلاجها ، وقد حاول بعض الباحثين

---

(١) راجع ص (١٩) وما بعدها من كتاب البحوث الأدبية ومناهجها د . محمد عبد المنعم خفاجي .

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون .

(٣) سورة إبراهيم الآية (٥) .

أن يطبق على علم النفس المنهج التجريبي ، بعد أن كان يعتمد على المنهج الاستنباطي الاستنتاجي ، ويعد تطبيق المنهج التجريبي في العلوم النفسية والاجتماعية من أخطاء الحضارة الغربية ؛ لأن المنهج التجريبي لا يصلح إلا للبحث في الماديات ، ولا يمكن أن يصلح في مجال الدراسات الإسلامية ؛ لأن الإنسان ليس مادة فقط ، وإنما هو مادة وروح مما يجعل تطبيق المنهج التجريبي على الإنسان خطأ محضا ابتكرته الحضارة الغربية التي نظرت إلى الإنسان بعين واحدة ، وفي هذه النقطة يفترق المنهج العلمي الإسلامي عن المنهج العلمي الغربي ؛ لأن المنهج الإسلامي كما سبق أن وضحنا يخصص لكل منهج موضوعه المناسب ، وفيما يتعلق بالعلوم الإنسانية يقرر المنهج العلمي الإسلامي أن هذه العلوم ليس لها إلا منهج واحد هو منهج الوحي السماوي الذي كشف عن حقيقة الإنسان ، وبين قواه ومطالبه ونوازعه ، ووضع له العلاج الملائم .

ولذلك يقول الدكتور أحمد خليفة : « علينا أن نحذر من اعتبار الظاهرة الاجتماعية كالظاهرة الطبيعية خاضعة تماما لنفس قواعد المنهج بغير تقدير لطبيعتها الخاصة (..) ذلك لأن المجتمع ليس علما محضا ، بل يعيش أيضا بالرنسانيات غير العلمية كالدين والأخلاق»(١) .

كما يقول الدكتور توفيق الطويل : « إن طبيعة موضوعات (العلوم والإنسانيات) مختلفة متباينة ، ومن ثم لزم أن تختلف المناهج التي تعالجها كما تختلف القوانين التي تنتهي إليها»(٢) .

ومما ينبغي الالتفات إليه هو أن الذين قاموا بتطبيق المنهج التجريبي على علم النفس والاجتماع والأخلاق هم فلاسفة اليهود « ماركس ، وفرويد ، ودور كايم ، وليفي بريل » بهدف استبعاد الدين وسائر الغيبيات من حياة الإنسان(٣).

ونكتفي بذكر هذه الأنواع الرئيسية وإلا فمجالات الأبحاث النظرية لا حصر لها .

مميزات الأبحاث النظرية :

تتميز هذه الأبحاث بما يأتي :ـ

أولا : كنتيجة لتدخل الرأي الشخصي في هذه العلوم نجد في كل مجال منها العديد من النظريات ، وأصدق هذه النظريات هي التي لا تتعارض مع قوانين ومبادىء المنطق العقلي من جهة ، ولا تعاليم الوحي السماوي غير المحرف من جهة ثانية .

---

(١) راجع ص (١٢) من كتاب أخطاء المنهج الغربي الوافد .

(٢) أسس الفلسفة .

(٣) راجع كتابنا « انهيار الشيوعية أمام الإسلام » التصدير العام .

ثانيا : التفرع السريع في هذه العلوم ، فعلى سبيل المثال نجد أن علم النفس بعد أن كان فرعا من فروع الفلسفة إلى نهاية القرن الثامن عشر ، تفرع الآن إلى عدد كبير من الفروع ، فهناك علم النفس العام والاجتماعي ، وعلم نفس الطفل ، وعلم النفس الصناعي والسياسي الاكلينيكي وغير ذلك ، وكذلك علم الاجتماع الذي تفرع إلى اجتماع ريفي وحضري وديني ، ونظم اجتماعية ، واجتماع بشري ، والجغرافيا بعد أن كانت علما واحدا أصبحت مجموعة من العلوم ، وكذلك قل عن كثير من العلوم .

ويكفي أن نعلم أنه في فترة الخمسين سنة الأخيرة فقط قد حدث هذا التفرع الشاسع في العلوم النظرية بعد أن كان معظمها فرعا من فروع الفلسفة .

منهج البحث في العلوم النظرية :

تعتمد الأبحاث النظرية بصفة خاصة ، وسائر الأبحاث بصفة عامة على المنهج العقلي المنطقي الاستنباطي .

فالمنطق هو الذي يضع ويحدد القوانين العامة للفكر ، والتي ينبغي أن يعمل كل مفكر بمقتضاها ، كما أنه يربي في الباحث ملكة النقد ، وتقدير الأفكار ، ووزن البراهين ، والحكم عليها بالصحة أو الخطأ .

والمنطق هو القانون العام لمن أراد أن يكون بحثه سليمًا لا تناقض فيه ولا تضارب .

ذلك أن المنطق يبدأ عن طريق بحث التعريف ، ويفرق لنا المنطق بين التعريف التام والتعريف الناقص والتعاريف التي تحتوي على أخطاء منطقية ، وأي باحث لا يحتاج إلى تحديد المفاهيم تحديداً سليمًا في بحثه ؟!

ثم يترقى المنطق من الألفاظ المفردة إلى القضايا ، فيفرق بين القضايا الحملية والشرطية، ويوضح كيفية تركيبها ومكوناتها وبعد ذلك يحدد الباحث طرق الاستدلال والبرهنة على القضايا التي يريد إثباتها ، سواء كان استدلالاً مباشراً من خلال التناقض والعكس وتلازم الشرطيات ، أو كان استدلالا غير مباشر من خلال القياس بأشكاله وصوره والتمثيل والاستقرار (١).

والخلاصة أن المنطق هو العلم الذي ينظم التكفير البشري ويضع القوانين التي تعطم الذهن من الوقوع في الخطأ .

ومن هنا قال عنه بعض العلماء : إن المنطق هو الفن الذي يقود الفكر أحسن قيادة في

---

(١) راجع كتاب المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم لأستاذنا الدكتور عوض الله جاد حجازي ، فهو كتاب واضح يقرب المنطق إلى ذهن الباحث بأبسط عبارة وأوجزها .

معرفة الأشياء سواء أن يتعلمها هو بنفسه أو أن يعلمها للآخرين (١) .

ويقوم المنطق على قوانين أربعة أن يسلم بها كل عقل وينبغي أن يعلمها كل باحث حتى يستطيع أن يقوم فكر الآخرين ، وأن يكون فكره سليمًا وهي :

(١) قانون الذاتية :

ومعناه أن كل شيء هو ذاته ، بمعنى أن كل شيء في هذا الوجود ذاتيته الثابتة التي لا تختلط بغيره من الذوات .

وهذا القانون هو أساس المعرفة وأساس العلم لأننا لو قبلنا فكرة تغيير الحقائق واختلاط الجواهر ، لكان معنى ذلك عدم العلم الثابت بها ، بل نكون قد فتحنا المجال لفلسفة التغيير والنسبية في المعرفة التي سبق أن نادى به السوفسطائيون وينادي بها اليوم الوجوديون والوضعيون وغيرهم من أصحاب الفكر المنحرف .

(٢) قانون عدم التناقض :

ومعناه أن الشيء ونقيضه لا يجتمعان في شيء واحد في آن واحد من جهة واحدة .

وأهمية هذا القانون ترجع إلى أنه يجنب الباحث أن يكذب نفسه بإثباته لفكرة في مكان ما من بحثه ثم ينفيها في مكان آخر ، وهذا من أخطر العيوب في الأبحاث العلمية ، لأن معناه أن الباحث لم يستوعب كل الأفكار التي وردت في رسالته ، وللأسف أنه من العيوب الشائعة في كثير من الرسائل .

(٣) قانون الثالث المرفوع :

ومعناه أن الشيء إما أن يكون صوابًا وأما أن يكون خطأ ولا يخلو من أحدهما ، لأن ارتفاع النقيضين محال ، فالثالث بين النقيضين مرفوع أو مطروح أو منفي .

(٤) قانون التعليل :

وهو حركة التفكير في تفسير أسباب الحوادث والظواهر إذ أن العقل لا يتصور وجود مسبب بلا سبب ولا معلول بلا علة (٢).

وعلى الباحث العلمي إلا يقف عند حدوث التفسير الظاهري للأشياء ، وإنما عليه أن يترقى بعقله وفكره مع سلسلة الأسباب والمسببات حتى يصل إلى السبب النهائي الذي يفسر لنا مجموعة المسببات المتناثرة في الكون .

وإهمال هذه الملاحظة التي نبهنا عليها أوقع كثيرًا من العلماء في أخطاء واضحة .

ونكتفي بهذا القدر من الإشارة إلى المنهج المنطقي ، مع التنبيه على الباحثين بالرجوع

---

(١) راجع ص (٨) وما بعدها من كتاب المنطق الصوري د . علي سامي النشار .

(٢) راجع كتابنا « المنطق واتجاهاته القديمة والحديثة والمعاصرة » ص (٤٦) وما بعدها .

إلى كتب المنطق وقراءتها واستيعابها ، لأنها المرشد السليم إلى الباحث الذي يريد أن يكتب بحثًا خاليًا من المغالطات الفكرية التي قد يوقعه فيها أحد الكاتبين المغرضين . ذلك أن الأبحاث النظرية إنما تعتمد إلى حد كبير علي الأحكام الشخصية ، أو ما يسمى بمنهج البحث الذاتي الذي يعطي الباحث رأيه فيه من خلال تكوينه الذاتي ، واجتهاداته الشخصية (١) ولذلك اشترط العلماء للتفسير النقدي شروطًا ثلاثة :

الأول : أن تعتمد المناقشة على الحقائق والمباديء المعروفة في المجال الذي يقوم الباحث بدراسته .

الثاني : أن تكون الحجج والبراهين المقدمة في التفسير النقدي واضحة ومعقولة ، أي أنها يجب أن تكون سائرة مع مباديء المنطق ومراعية لأصول الاستدلال المنطقي من حيث تكون المقدمات وترتيبها وشروطها وحدودها وغير ذلك مما حدده علم المنطق .

الثالث : أن تكون عملية الاستنتاج والأحكام النهائية في البحث مبنية على الحقائق المسلمة في مجال البحث وأن تكون بعيدة عن الحدث والتخمين (٢) .

(ب) الأبحاث العلمية التجريبية :

وهي الأبحاث التي تجري في المجال الذي تحكمه الظواهر المحسوسة ويشمل هذا المجال العلوم الطبيعية والكيمياء والفلك والجولوجيا ذات الطابع العلمي المادي والتي تحاول أن تسير بالإنسان قدمًا إلى الأمام في طريق التكنولوجيا اوالتقدم المادي .

والمنهج الذي تعتمد عليه هذه الأبحاث غالبًا هو منهج البحث التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة الحسية وعلى المعمل والتجربة والمختبر .

وإنما قلنا إن هذه الأبحاث تعتمد على المنهج التجريبي غالبًا ، لأن هناك فروعًا كثيرة لهذه العلوم لا يمكن اعتمادها على التجربة وفي هذه الحالة تعتمد على المنهج المنطقي العقلي وعلى الاستنباط الرياضي .

ـ فالمذهب الذري للفيزياء الحديثة الذي يفسر الكهرباء والحرارة والضوء والمغناطيسية إنما يقوم على أساس من الفروض المنطقية والاحتمالات العقلية الرياضية(٣).

ـ وظواهر علم الفلك إنما يعتمد الباحث في دراستها على التلسكوبات المختلفة، ولكنه يستخدم قوانين المنطق في استنباط نظرياته عنها ولا يستطيع أن يستخدم فيها التجربة

---

(١) د . يوسف القاضي . مناهج البحث وكتابها ص (٦٩) .

(٢) د . محمد زيان عمر ـ المرجع السابق ص ٥٢ من أصول البحث العلمي للدكتور أحمد بدر .

(٣) كمال بنيامين ـ العلم والمنطق والإيمان ص (٣٤) . وقارن (٢٩) من مناهج البحث في التربية وعلم النفس . د.جابر عبد الحميد .

العلمية.

ـ إن علوم الجيولوجيا وأبحاث التربة والحفريات مع أنها تخضع للتجربة أحيانًا إلا أنها تحتاج إلى المنطق العقلي لتفسير كثير من مباحثها . من كل ما تقدم تخلص إلى أن التجربة المعملية ليست هذ الأساس الوحيد للمعرفة العلمية ، حتى إن العلم التجريبي نفسه لا يعتمد على التجربة في كثير من نظرياته وإنما يستعيض عنها بالمنطق العقلي .

ومن هنا فالباحث في مجال العلوم الطبيعية عليه ألا يأخذ أحكام بعض العلماء الطبيعيين الذين ينكرون كل ما لا يخضع للتجربة ، مأخذ التسليم وإنما عليه أن يراجع نفسه، وأن يتحقق من هذه الأحكام الجزافية التي أثبتت أحدث النظريات العلمية عدم صحتها ـ حيث قامت هذه النظريات على أساس ومسلمات غيبية غير محسوسة ولا مرئية ، ومن بدهيات البحث العلمي أن يعلم الباحث أن لكل حقيقة منهج بحثها الملائم ، وإن هناك مناهج عامة ومناهج خاصة :

فالمنهج العام : الذي يصلح للحقائق المادية واللامادية معًا هو المنهج العقلي المنطقي .

وأما المناهج الخاصة فهي كثيرة .

ومنها : منهج البحث التجريبي : الذي لا يصلح إلا لدراسة الماديات وحين يتعدى هذه الحدود تأتي أحكامه عارية من الصحة .

ومنها : منهج المسح ودراسة الحالة : وهو الذي يستخدم في البحوث الاجتماعية والسلوكية ، والمسح هو عبارة عن دراسة عامة لظاهرة موجودة في جماعة معينة وفي مكان معين ، ويقوم العالم المتبع لهذا المنهج بأخذ عينات تمثل الطبقة التي يقوم بدراستها ، ثم يجري البحث على هذه الحالة المختارة وأخيرًا يطبق ما وصل إليه من نتائج على المجموعة كلها (١).

ومثال ذلك : الأبحاث التي تقوم بخصوص التعداد السنوي للسكان أو استفتاءات الرأي العام أو لدراسة ظواهر معينة تشير في المجتمع مثل ظاهرة الإجرام ، أو ظاهرة التحلل الخلقي .

ويقوم منهج المسح على الخطوات التالية :

١ ـ تحديد المشكلة وتوضيح الهدف من دراستها .

٢ ـ رسم خطة لسير البحث وتشمل تحديد مجال المسح من حيث العينة والمكان والزمان وإعداد المساعدين الفنيين الذين سيقومون بجمع البيانات .

---

(١) الأستاذ حسين عبد الحميد رشوان ـ ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي ص (١٢٤) ـ الهيئة العربية العامة للكتاب ١٩٧٧م .

٣ ـ جمع البيانات بطرق متعددة مثل المقابلة ، والاستفتاء والملاحظة .

٤ ـ تحليل البيانات وتصنيفها وتفسيرها عن طريق المنهج المنطقي .

٥ ـ استخلاص النتائج وتوضيح مدى إمكانية تطبيقها على العينات والحالات المشابهة ، وهذا يتم أيضًا عن طريق القياس المنطقي [١] .

ها نحن نلاحظ هنا أن منهج المسح إنما يقوم أساسًا على المنطقق العقلي الاستنتاجي .

وهناك منهج البحث التاريخي :

وهو المنهج الذي يعتمد على الوثائق ونقدها وتحديد الحقائق التاريخية وتحليلها إلى عناصرها ، ثم يحاول أن يركبها مرة ثانية ويفسرها وذلك من أجل فهم الماضي ومحاولة فهم الحاضر على ضوء الأحداث والتطورات الماضية [٢] .

وفي تحديد أسس هذا المنهج وفي التحذير من الأخطاء الشائعة فيه يقول ابن خلدون : « كثير ما يقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل ، المغالطات في الحكايات والوقائع لاعتمادهم على مجرد النقل غثًا أو سمينًا لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط » [٣] .

وهناك المنهج الإحصائي :

وهو منهج رياضي عقلي ولكنه يقدم للعلماء المادة الخام التي تساعد على إقامة النظريات فلا غنى لسائر العلوم التجريبية عن استخدام الإحصاء في إقامة القوانين التي تعتمد عليها ، ويعوض المنهج الإحصائي في هذه العلوم أي قصور يمكن أن يحول دون استخدام المنهج التجريبي ، فالإحصاء ـ كما يقول ـ (كيتليه) : هو الوسيلة الوحيدة التي تستخدم في دراسة الظواهر التي لانستطيع أن نجري عليها التجارب[٤] .

وهناك مناهج خاصة كثيرة تجبر قصور المنهج التجريبي ، وتعتمد أساسًا على المنهج المنطقي .

ونحن بهذا لا نحط من قيمة هذا المنهج ولا هذه العلوم التي تقوم عليه ، كيف وكتابنا الكريم هو الذي نبهنا إليه ودفعنا إلى استخدامه ، إنما نريد فقط أن نضعه في مكانه

---

(١) د . محمد زيان عمر ـ البحث العلمي ص (١٣٢) .

(٢) د . أحمد بدر ـ المرجع السابق ص (٢٣٥) .

(٣) راجع ص ٣٧ من كتاب استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي للدكتور علي حسن إبراهيم ـ القاهرة ١٩٨٠م

(٤) حسين رشوان ـ المرجع السابق ص (١١٦) .

الصحيح دون إفراط ولا تفريط .

وكيف نقلل من قيمته وهو السبب في تقدم البشرية ، ذلك أن التطور التكنولوجي الذي نعيشه اليوم إنما كان ثمرة لهذا المنهج وللعلوم التي قامت عليه ، ولكن ليس معنى هذا أننا نستطيع الاستغناء عن الأبحاث النظرية ، لأنها تمس الجانب الحقيقي في الإنسان وهو الجانب العقلي والفكري والنفسي فليس بالآلة وحدها وليس بالعمل وحده يحيا الإنسان ، بل يحتاج دائماً إلى ما يغذي روحه وعقله ، ويحل له مشكلاته النفسية والعقدية ، وهذه هي المهمة الأساسية للأبحاث النظرية .

إن العالم الذي يجلس في مختبره طوال اليوم في حاجة ماسة إلى قراءة قصة أو كتاب إسلامي في الأدب أو الفلسفة لكي يستريح من عناء اليوم .

وإن الصانع الذي يقع طوال اليوم وراء الماكينة في حاجة إلى نوع من الهدوء والسكينة النفسية ، ولن يجد هذه الغاية إلا في بحث ديني أو أدبي ، ولن يجدها في قراءة كتاب في الكيمياء أو الفيزياء .

ولا أدل على ذلك من أن المجتمعات الأوربية التي سارت طويلاً في مضمار التقدم التكنولوجي وأهملت الجوانب النظرية والروحية ، أصبحت تعاني اليوم من الإفلاس الروحي، ولم تستطيع المادة ولا الأبحاث التجريبية وحدها أن تحقق لها السعادة .

النوع الثاني البحوث الناقصة والتمهيدية:

وهي عبارة عن المقالات العلمية ، والتقارير والمستخلصات العلمية ، والبحوث الصفية أو الدراسية التي يقوم بها طلاب الجامعات أثناء المرحلة الجامعية .

ويخيل للدارس المبتدىء أنه عندما يكون قد سجل آراء عدد كبير من الخبراء في موضوع ما وأعلن عن رأيه أنه يكون قد أجرى بحثًا .

والواقع أن هناك فرقًا شاسعًا بين البحث الكامل بمفهومه الذي سبق ذكره ـ وبين المقالات والتقارير والبحوث الدراسية وهذا الفرق يتضح فيما يلي :

أولاً : إن البحوث الناقصة هي مجرد دراسة أو تلخيص لموضوع أو مشكلة قام ببحثها عالم معين ، والمقال بهذا المعنى لا يضيف بالضرورة جديدًا للمعرفة الإنسانية ، فهو لا يزيد في العادة عن تقديم ملخص لمعلومات سبق اكتشافها ، والبحث الكامل يجب أن يكون أكثر من مجرد اقتطاع بعض أفكار الآخرين .

ذلك أن مجرد ملخصات لأفكار الأخرين وآرائهم بالنسبة لبعض المشاكل لا يقدم لنا الحل بالنسبة للمشكلة التي أمامنا .

وإن كان يفيد في تنمية مواهب الطالب المبتديء توسيع[1] دائرة معارفه وتمرينه على بعض الأعمال العلمية ، بأي حال .

ثانيًا : لا يتقيد كاتب المقال بنفس القواعد التي يلتزم بها الباحث عند كتابة بحثه ، من حيث توسيع دائرة المراجع ، وتوثيق المعلومات ونسبتها إلى أصحابها .

ثالثًا : المقالات العلمية قد تكتب لمجرد التيسير علي القراء عند الرغبة في معرفة نتائج بحث ما ، وتقدم الحقائق بطريقة مباشرة ومختصرة .

أما الأبحاث العلمية ، فهي موجهة إلى طبقة خاصة وهم الأكاديميون والمثقفون ، ولذلك تتسم بارتفاع المستوى الفكري والذاتية المحضة ، لأنها نتاج عقل وفكر الباحث[2] .

رابعًا : المقالات العلمية والتقارير هي مجرد أبحاث حرة لا هدف لها ، اللهم إلا عرض الحقائق القديمة بطريقة أو بأخرى ، بصرف النظر عن مدى قدرات القائم بها ، هل يصلح لذلك أم لا ، ولذلك يقرأ الإنسان كثيراً من الأبحاث ويتمنى بعد قراءتها أنه لو لم يقرأها ، لأن القائم بها لم يكن مؤهلاً ، ولم يكن عنده الاستعداد الأكاديمي لعمل البحث الكامل .

---

(١) د . أحمد بدر ــ المرجع السابق ص (٤٤١) .

(٢) د . محمد زيان عمر ــ المرجع السابق ص (٥٠) .

أما الأبحاث الكاملة فهي دراسة مستقلة قائمة بذاتها ذات منهج محدد ، وتحتاج إلى قدرات خاصة يجريها الطالب على النحو اللائق بها ، مرفقًا بها تقريرات عن الإجراءات والنتائج مكتوبة في صورة رسالة علمية .

والغرض من هذا المطلب هو أن يتحدد أساسًا ما إذا كان الباحث قادرًا على إضافة معرفة أصيلة إلى حقل تخصصه أم لا .

الأبحاث الصَفّية :

وهي ما تسمى بورقة البحث في المرحلة الجامعية الأولى حيث يطلبه الأستاذ من الطالب في سنوات الدراسة الجامعية ويختار له أستاذ متخصص عنوان البحث ويرشده إلى المصادر والمراجع التي تساعده على إتمامه ، ويكون غالبًا محدد الكم والكيف[1] . والمقصود من تكليف الطلاب بإعداد البحوث الدراسية هو تحقيق الأغراض التالية :

١ ــ تعويد الطالب على التفكير والنقد الحر .

٢ ــ تدريب الطالب على حسن التعبير عن أفكاره وأفكار الآخرين بطريقة منظمة وواضحة .

٣ ــ إظهار كفاءة الطالب في مجالات وموضوعات ، لم يتناولها الأستاذ في المادة الدراسية بتوسع وتغطية شاملة .

٤ ــ التعرف على كيفية استخدام المكتبة سواء من ناحية التصنيف أو الفهارس .

٥ ــ تنمية قدرات الطالب ومهاراته في اختيار الحقائق والأفكار المتعلقة بموضوع بحثه .

٦ ــ تنظيم المواد المجمعة وتوثيقها ، وحسن صياغتها ، ثم تقديمها بلغة سليمة وبطريقة واضحة [2] .

٧ ــ وقد يقوم البحث الوصفي مقام الاختبارات والامتحانات التي يتطلبها تقويم المادة العلمية ، أو تقويم مجهود الطالب [3] .

٨ ــ إعداد الطالب لمرحلة الدراسات العليا من جهة ولمهمته ووظيفته كمدرس ومهندس وطبيب من جهة ثانية فكلما نمت لدى الطالب هذه المهارات أثناء دراسته الجامعية كلما زادت فرصة إسهامه الإيجابية في مجتمعه .

---

(١) د . عبد الرحمن عميرة ــ أضواء على البحث والمصادر ص (٢٩) الرياض ١١٩٨٠ م .

(٢) د . أحمد بدر ــ مرجع سابق ص (١٩٤) .

(٣) د . يوسف القاضي ــ مناهج البحوث وكتابتها ص (٧١) .

الفصل الرابع

صفات الباحث

يحتاج البحث العلمي إلى موهبة خاصة يمنحها الله لمن يشاء من عباده ؛ لأن البحث عبارة عن عملية خلق وإبداع وإضافة جديدة ، وليس كل إنسان يملك هذه الموهبة ، كما أن التفوق أثناء الدراسات الجامعية الأولى ليس برهانًا على امتلاك هذه الموهبة[1] ، فكثيراً ما شاهدنا أشخاصًا تفوقوا في سنوات الدراسة ؛ لأنهم كانوا يعتمدون على عملية الحفظ والصم الأعمى دون الفهم والاستيعاب ، ثم تراجعوا في البحث العلمي ، وتقدم عليهم في هذا المجال من كانوا أقل منهم تقديرا في سنوات الدراسة .

إذًا فالبحث يحتاج إلى موهبة خاصة ، وهذه الموهبة عندما توجد عند بعض الطلاب لا بد من تنميتها بكثرة الاطلاع وسعة المعرفة ، وعمق التفكير مع المحاولات المستمرة لإجراء البحوث التمهيدية المصغرة ، وعمل دراسات لبعض الكتب التي يقرأها وغير ذلك من صور البحوث غير الكاملة .

وليس معنى ذلك أن فاقدي هذه الموهبة ليس لهم مكان في البحث العلمي ، بل المقصود أن البحث الجيد الذي يجتذب أنظار القراء هو البحث الذي يتمتع صاحبه بهذه الموهبة .

وقد يكتب فاقدوا موهبة البحث أبحاثًا ويبذلون مجهودات على قدر طاقاتهم ، ولكن أعمالهم في النهاية لا ترقى إلى مستوى الأبحاث الجيدة .

وهذا هو الفرق بين كتاب يعجب القاريء ويستحوذ على مشاعره ، وبين كتاب يمله القاريء فيقرأه على مضض ، لأنه كالجسد الذي لا روح فيه .

وقد حدد العلماء مظاهر وجود هذه الموهبة عند طلاب الدراسات العليا فيما يأتي :

١ ـ قدرة الطالب علي اختيار موضوع جديد للبحث من خلال قراءاته .

٢ ـ قدرته على وضع تخطيط مبديء للموضوع الذي اختاره .

٣ ـ قدرته على نقد الأفكار والبرهنة على فكرته .

٤ ـ قدرته على المناقشة والفهم ، وتوجيه الأنظار إلى أفكار جديدة من خلال المناقشات[2] .

---

(١) د .أحمد شلبي ـ كيف نكتب بحثا أو رسالة ص (١٩) .

(٢) المرجع السابق ص (٢١) .

وعلى أية حال فقد وضع العلماء عدداً من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الباحث ومنها :

أولاً : حب الاستطلاع : والرغبة المستمرة في البحث والتقصي ومحاولة إيجاد إجابات وتفسيرات مقبولة لتساؤلاته عما يحدث حوله من أحداث وظواهر[1] وقد تحلى علماؤنا وفلاسفتنا الأوائل بهذه الصفة فأخرجوا لنا هذه الذخيرة العلمية التي ما زلنا رغم مرور القرون ننهل منها ، ونثري بها أبحاثنا ، فما تزال هي العمدة والأساس في مجالها ، ذلك أن العلماء المسلمين القدامى أحبوا العلم من أجل العلم ، ورغبوا فيه حتى روي أن الفارابي الفيلسوف الإسلامي، قد قرأ كتاب الطبيعة لأرسطو أربعين مرة حتى فهمه ووصل إلى المقصود منه ، وقرأ كتاب البلاغة لأرسطو أيضًا مائتي مرة ، وكان الرازي الطبيب لا يغادر الكتابة أبداً ، كما كان لا يجالس إلا العلماء ، وقد أثر عنه قوله : « إذا اجتهد الباحث وشغل نفسه بالنظر والبحث فقد أخذ في طريق الحق . فالمجتهد بحق مشكور وإن لم يبلغ الغاية » .

وتروي لنا كتب التاريخ عن (أخبار علماء الإسلام) الأوائل والذين أتسموا بالصبر والمثابرة على البحث العلمي ، فقد كان الواحد منهم يجوب أرجاء العالم الإسلامي شرقًا وغربًا من أجل تحقيق (حديث رسول الله ص) وهنا لا ننسى الإمام البخاري الذي استغرقت رحلاته العلمية ستة عشر عامًا كما أن رحلات البيروني العلمية استمرت أربعين عامًا يبحث ويقرأ ويستقصي حتى كتب بحثه القيم « تحليل ما للهند من مقولة »[2] .

وبهذه الروح العالية كان الواحد منهم يكتب مئات الكتب .

ومن هنا وجب على الباحث أن يقرأ بفهم وعمق حول موضوعه وأن يحاول الإلمام بكل ما كتب في هذا الموضوع ، إذ أنه سيحدد نتائجه بناء على قراءاته[3] .

وإذا كان الباحثون قد حددوا هذه الصفة في العصور الحديثة فقد سبق أن حددها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان ولا عجب في ذلك ، فأول ما نزل على رسول الله ص هو : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ [4] ولو تأملنا ما ورد في القرآن الكريم من آيات تحث على العلم وتدفع إلى البحث والنظر والاطلاع وما جاء في السنة حول هذا المجال لأدركنا الأهمية الكبرى التي يعطيها الإسلام لهذه الصفة[5] .

---

(١) د . جابر عبد الحميد ود . خيري كاظم ــ مناهج البحث في التربية وعلم النفس ص (٣٤) .

(٢) راجع ص٣٦ من كتاب مناهج البحث وكتابتها د . يوسف مصطفي القاضي الرياض سنة ١٩٧٩ .

(٣) د . حسين رشوان ــ مرجع سابق ص (١٤٠) .

(٤) سورة العلق الآيات (١ ــ ٤) .

(٥) د. محمد زيان عمر ــ مرجع سابق ص (١٨٧).

ومن هنا فالباحث الذي يحاول أن يتصف بهذه الصفة إنما يحقق هدفين في آن واحد:

الهدف الأول : المنافع الدنيوية التي تعود عليه من وراء قراءاته واطلاعه سواء كانت مادية أو معنوية .

الهدف الثاني : أنه في حالة قراءته وبحثه يكون عابدًا لربه ، ذلك أن فضل العالم يزيد على فضل العابد كما أخبر الرسول ص وبذلك يربح الآخرة ، لأنه ينفذ ما أمر الله به من تحصيل العلم والمعرفة .

ثانيًا : الصبر والتأني :

فالباحث الناجح هو الذي يصبر على مشاق بحثه فلا يمل من البحث عن كتاب يرى أنه ضروري لبحثه ، ولا يمل من إعادة قراءة فكرة لم تختمر في ذهنه ، ولا يتسرع في صياغة بحثه قبل أن يعده إعدادًا لائقًا به ، ولا يتسرع بنشر نتائجه العلمية لإحراز السبق قبل أن تنضج هذه النتائج وتتبلور في صورتها اللائقة .

فالباحث الموهوب يرى في البحث شخصيته وأمله وكيانه ، ولهذا فهو يتطلع للكمال في بحثه أكثر مما يتطلع للإسراع في الحصول على الدرجة العلمية التي يسعى إليها[1] وفي إشارة القرآن إلى هذه الصفة يكفي أن نذكر قول الله تعالى : ﴿ وَقُلْ اعملُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورسُولُهُ والمؤمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إلى عَالِمِ الغيبِ والشَّهادةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بما كنتم تَعْمَلُونَ﴾[2] فمثل هذه الآية ينبغي أن تدفع الباحث إلى الاتصاف بالصبر والتحلي بالتأني والدقة وإتقان العمل حيث إن الله مطلع على عمله ومحاسبه عليه ، كذلك يقول الرسول ﷺ: « **إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتقنه** » .

وعلى هذا فإن هؤلاء الذين يتّسمون بالتسرع في الحصول على رسائل علمية بلا مجهود حقيقي يبذلونه ، وإنما يحققون ذلك بالطرق الملتوية إنما يخسرون الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا لن تكون لهم مكانة علمية في قلوب طلابهم وقراءهم وإنما سينظر إليهم المجتمع والناس على أنهم غثاء كغثاء السيل ، فقاقيع لا قيمة لها حتى ولو ارتقت أعلى المناصب وسوف يظلون طيلة عمرهم فاشلين في مجال البحث العلمي ، لأنهم لم يصبروا على إتقان بحثهم الأول .

وأما في الآخرة فعذاب شديد ، لأنهم اغتصبوا مجهودات غيرهم ووصلوا بها إلى ما لا يستحقون .

---

(١) د. أحمد شلبي – مرجع سابق .

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٥) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثًا : الأمانة :

من أهم الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الباحث أمانة العلم ، والتي تتمثل في دقة نقل النص عن الغير أو صراحة التعبير عن مضمونه دون لبس أو تحريف أو زيادة أو نقصان يخل بمقصود النص [(١)] .

والقرآن حينما يذم اليهود بتحريفهم الكلم عن مواضعه وتلبيسهم الحق بالباطل إنما يشير إلى شيء من ذلك يقول الله تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [(٢)] .

ويقول : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [(٣)] .

رابعًا : التواضع والبعد عن الغرور :

فالباحث الناجح يشعر دائمًا أنه متجرد من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ، ويؤمن بأن ما حققه من نتائج ونجاح هو بتوفيق الله وعنايته .

ومن هنا فليس هناك ما يدعو إلى الغرور والتعالي والكبر يقول الله تعالى فيما ورد في وصية لقمان الحكيم لابنه : ﴿ ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ ولا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[(٤)] .

ولكن هناك فرق شاسع بين العزة والكبر فالباحث يعتز بأفكاره وبما منحه الله من القدرة على إنجاز أعماله ولكن دون أن يصل به الأمر إلى الاختيال والكبر فالمؤمن عزيز لا يعرف المهانة أمام الجهلة ومدعي العلم ولكنه في الوقت ذاته متواضع أمام أساتذته ومعلميه .

خامسًا : الفطنة وحضور البديهة :

وهذه صفة ضرورية للباحث ، لأنه بدونها لن يستطيع أن يربط بين الأفكار ولا أن يوازن بينها ولن يتمكن من تحليل الأفكار وتركيبها واستنتاج ما يمكن استنتاجه من النتائج .

فالباحث العلمي يعتمد على البديهة المتوقدة التي تجعل الباحث يربط بين فكرة قرأها اليوم وفكرة قرأها من شهور . ولذلك يصف الرسول ص المؤمن بالفطنة فيقول : « المؤمن كيس فطن » .

سادسًا : الموضوعية :

ـ بأن يكون الباحث واقعيًا لايتعصب لرأيه ويهمل آراء الآخرين أو يخطئها بلا مبرر

---

(١) د . عبد الرحمن عميرة ـ مرجع سابق ص (١٥) .

(٢) البقرة الآية (٧٥) .

(٣) البقرة الآية (٤٢) .

(٤) لقمان الآية (١٨) .

ولا برهان صحيح ، فمطلوب من الباحث أن يكون عادلاً في أحكامه .

ـ وبأن يكون متحرراً من أهوائه الخاصة ، ومشاعره الشخصية التي قد توقعه في الأخطاء .

وبعض الكتاب يطلقون هذا القول على عواهنه ، فيقصدون منه التحرر حتى من العقيدة عند صياغة القوانين واستنتاج النتائج .

وهذا مفهوم خطأ ، لأن العقيدة ليست مجرد مشاعر أو أهواء أو عواطف ، وإنما هي تعقل وبرهنة وإذا ثبتت العقيدة بالبرهان والدليل ، فلا ينبغي على الباحث أن يتجرد منها أثناء استنتاجه للنتائج .

وإذا كان علماء الغرب قد عمموا هذا الشرط ، أن عقيدتهم كانت مجرد مشاعر وأحاسيس وتسليم قلبي دون اقتناع عقلي (1) فهذه مشكلتهم الشخصية ، ولا شأن لنا بها كمسلمين .

وحينما نعود إلى القرآن الكريم نجد أنه قد حذر الإنسان من أن يعتمد على الأهواء الشخصية في أحكامه ، فقال : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (2) .

ويقول القرآن عن الذين يتبعون أهواءهم : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (3) .

وإذا كان القرآن يحذر من الاعتماد على الأهواء وهي الأحكام الشخصية التي لم تقم على البرهان العقلي والدليل العلمي ، فإنه ليس معنى ذلك أن نطلب من الباحث أن يتجرد من عقيدته كما صنع كتاب الغرب ، لأن العقيدة الإسلامية ـ خلافاً للعقيدة النصرانية ـ قامت على أساس من العلم والعقل والدليل والبرهان ومن هنا فإننا نقول لكل باحث مسلم وخصوصاً من يعملون في المجالات العلمية التجريبية عليكم أن تهتموا بصياغة القوانين العلمية التي وردت إلينا من الغرب أو الشرق صياغة ملائمة للفكر الإسلامي وغير مناقضة له.

وهنا قد يقول قائل بأن العلوم التجريبية وقوانينها علوم عالمية لا تنحاز لدين من الأديان ولا لثقافة من الثقافات (4) ، ونقول بأن في هذا القول تعميماً لا مبرر له ، ذلك أن

---

(1) راجع ص (١٩) من العقيدة الإسلامية للمؤلف .

(2) سورة النساء الآية (١٣٥) . (3) سورة الجاثية الآية (٢٣) .

(4) الشيخ الشعراوي في أحاديثه التلفازية .

العلوم والقوانين العلمية لها ناحيتان :

الناحية الأولى :

عبارة عن الحقائق وقوانين الطبيعة التي تعرف عليها الإنسان بعد أن اجتاز مراحل عديدة من التجربة والاختيار والمشاهدة ، وهذه الناحية لا يشك أحد في كونها عالمية .

والناحية الثانية :

تتمثل في العقلية التي تدون هذه الحقائق والمعلومات وتضع على أساسها النظريات ، كما تتمثل في اللغة والأسلوب الذي تختاره هذه العقلية أداة للتعبير عن هذه النظريات .

فهذه الناحية الثانية ليست عالمية ، بل لكل داع من دعاة الحضارات المختلفة في العالم أسلوب يخصه وينفرد به ، ويتضح ذلك بالمثال التالي :

من الحقائق العلمية إن كل شيء في العالم حينما يبرد يتقلص ما عدا الماء ، فإنه إذا أخذ في التجمد يمتد وإذا تحول إلى ثلج يخف وزنًا ، ولهذا السبب نفسه يطفو الثلج على سطح الماء هذا قانون علمي ولكن عند صياغته نجد الماديين في الشرق والغرب يعللون لهذا القانون بأن الطبيعة هي التي منحت الماء هذه الخاصية ، فهي ذاتية له ، بينما العالم المؤمن ينبغي أن يقول إن الله سبحانه وتعالى هو الذي أودع ذلك في الماء بحكمته البالغة لكي تتمكن الكائنات الحية التي في قاع البحار من العيش ، لأن الله تعالى لو لم يعط الماء هذه الخاصية لكان كلما تجمد رسب الثلج في قاع البحار وما استطاعت الكائنات الحية أن تعيش فيها (1) .

وهكذا نلاحظ أن قانونًا واحدًا يمكن أن نعبر عنه بصياغتين مختلفتين إحداهما لإعداد جيل من الماديين والثانية لإعداد جيل من المؤمنين وعلى الباحث أن يعلم أن أي علم لا يؤدي إلى الاهتداء إلى الله ، ولا يقوم على إدراك فضل الله في تعليم الإنسان ما لم يعلم ، وفي منحه ابتداء القدرة على الإدراك ، وتخير النواميس الكونية أي علم لا يقوم على هذه الأسس هو علم ضال مضل ذلك أن هناك ارتباطًا بين القاعدة الإيمانية وبين سائر العلوم حتى ولو كانت هي علوم الفلك والأحياء والطبيعة والكيمياء والطب وغير ذلك .. إنها كلها تؤدي إلى الله حين لا يستخدمها الهوى المنحرف للابتعاد عن الله ، كما اتجه المنهج الغربي في النهضة العلمية (2) ، وكما اتجه العالم الشرقي الشيوعي .

إن روسيا الشيوعية التي تتمسح بالمنهج العلمي ، تمنع البحث العلمي في بعض العلوم التي تتعارض مع ثقافتها وفلسفتها الماركسية ولعل علم النفس وعلم الوراثة ، وعلم القابله

---

(1) أبو الأعلى المودودي – بين يدي الشباب – ص (110) الرياض 1983 م .

(2) سيد قطب – العدالة الاجتماعية في الإسلام ص (277) القاهرة 1964 .

بين اللغات المختلفة هي أكثر العلوم التي تعرضت لمثل هذا التدخل من قبل الدولة الشيوعية[1].

فإذا كانت الدول الشيوعية تبطل نظريات علمية وتزيف نظريات [2] أخرى من أجل المحافظة على ثقافتها الخاصة ، فأولى بنا نحن أصحاب العقيدة الصحيحة أن نحافظ عليها ولا يفهم من هذا أننا نطالب بمصادرة البحث العلمي وإنما فقط نطلب النزاهة والموضوعية في البحث ، ثم صياغة القوانين العلمية صياغة تتفق مع ثقافتنا وعقيدتنا وكذلك على الباحث المسلم عند حديثه عن القوانين العلمية الحديثة أن يعود إلى التراث الإسلامي ، وإلى كتب ونظريات العلماء المسلمين ويشير إلى السبق الإسلامي في المجالات العلمية حتى ينشأ أبناؤنا وهم مؤمنون بتراثهم وماضيهم مما يدفعهم إلى تمثل هذا التراث ومحاولة الإقدام والبناء ، بدلاً من أن ينظر الشباب إلي علماء الغرب المحدثين ، ويتخذون منهم المثل العليا تحت ضغط الجهل بالتراث العلمي الإسلامي .

سابعًا : الشك والتجرد :

من الآراء والأفكار التي لم يقم عليها دليل وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الفرنسي ديكارت بقوله : « ألا أقبل شيئًا ما على أنه حق ما لم أعرف يقينًا أنه كذلك ، بمعنى أن أتجنب التهور والسبق إلى الحكم قبل النظر ، ولا أدخل في أحكامي إلا ما يتمثل أمام عقلي في جلاء وتميز بحيث لا يكون لدي أي مجال لوضعه موضع الشك»[3] وقد سبق أن أشار الإمام الغزالي إلى هذه الفكرة في كتابه المنقذ من الضلال [4] .

وفكرة الشك هنا ليس معناها الهدم ، بل الشك المنهجي الذي يوصل إلى الحقيقة .

ذلك لأن الإنسان قد يؤمن سابقًا ببعض الأفكار الخاطئة ، لأن الكثرة تؤمن بها ، أو لأن فلانًا من المشاهير والكبار قد قال بها ، والإنسان قد يتابع الكثرة أو المشاهير في أقوالهم بدون تحقيق ، نظراً للوهم الشائع الذي يقول بأن الكثرة دائمًا على حق ، وأن الكبار

---

(١) دار لنفتون ــ الماركسية في أبعادها المختلفة ص (٢٤) .

(٢) لقد انعقد في روسيا سنة ١٩٢٢ مؤتمر لعلم التوليد ، وقرر أن تجارب علم التوليد والوراثة ينبغي أن توافق النظرية الماركسية في التطور والمادية الجدلية .

وكل من جاءت أبحاثه مخالفة لذلك حكموا عليه بالإعدام أو النفي إلى مجاهل سيبريا أو بالجنون ووضعوه في مستشفيات الأمراض العقلية ومن هؤلاء العلماء « فايلوف » الذي حكم عليه بالإعدام ، « وليفنكي » أستاذ علم الخلايا الذي سجن في معسكرات الاعتقال ، وغيرهم كثيرون من علماء البحوث الطبية والنباتية ؛ لأن تجاربهم العلمية كذبت نظرية ماركس التي يدعي لها العلمية وأنها النظرية النهائية التي فسرت كل شيء ، ومن هنا فلا يجوز الخروج عليها ــ راجع ص (٣٢) من كتاب ــ « مذهب ذوي العاهات » عباس محمود العقاد .

(٣) ديكارت ــ مقال عن المنهج ص (٣) ترجمة محمد الخضري القاهرة ١٩٣٠ م .

(٤) المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت لأستاذنا الدكتور محمود حمدي زقزوق .

والمشاهير أوثق من الخاملين ، ولكن القرآن الكريم ينبه العقول إلى خطأ هذا الوهم ويؤكد استقلال الحق عن القلة أو الكثرة أو الشهرة أو الخمول ، فيقول :

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1] ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ ، ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [3] .

فالقرآن بهذه الإشارات يجعل الحق مجرداً عن الكثرة والقلة ، بمعنى أنه على الباحث ألا تغره الكثرة أو القلة فيما يطلبه من الحق ، وكم من نظريات علمية أجمع عليها الباحثون ثم ثبت خطؤها ، لأن باحثًا نظر إليها نظرة الشك التي لم تجعل لإجماع السابقين أي قداسة أو سلطان علي فكره.

كذلك يشير القرآن إلى أن الأشخاص مهما علا قدرهم ومهما زاع صيتهم وطوفت شهرتهم في الآفاق ، فإن هذا لا يعني أن يأخذ الباحث آراءهم مأخذ التسليم بدون نقد أو تمحيص وإنما عليه أن يدرس آراءهم بواسائله الخاصة مهما كان قائلها ما دام بشراً .

فالآباء والقدماء قد يخطئون ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ [4] .

وإذا كان الآباء قد يخطئون فإن الشهرة وذيوع الذكر لا تعني العصمة من الخطأ ، وقد ينخدع بعض الناس بآراء الكبار والمشاهير ولكنهم لا يكتشفون هذا الخطأ إلا بعد فوات الأوان وفي الموقف العصيب بين يدي الله عز وجل[5] ، والقرآن يعبر في صدق عن هذه المشاعر الفاجعة حين يقول على ألسنة المقلدين بغير تمحيص ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾[6] .

وكأن الله سبحانه وتعالى يوجه الناس أن فكروا بعقولكم أنتم لا بعقول الآباء والأجداد والمشاهير .

ومن هنا فالباحث عليه أن يفحص كل ما يقرأ ، ولا يسلم بكل ما قرره غيره ، بل عليه أن يفكر ويدرس ويوازن بين الآراء حتى تبرز شخصيته .

هذه هي الصفات التي حددها علماء الغرب للباحث وقد بينا السبق الإسلامي لتقرير هذه الصفات إلا أن هناك صفتان أساسيتان ينبغي أن يتحلى بهما الباحث المسلم ــ وقد

---

(١) سورة الأنعام : الآية (١١٦) . (٢) سورة يوسف الآية (١٠٣) .
(٣) سبأ الآية (١٣) . (٤) سورة البقرة الآية (١٧٠) .
(٥) د . رفقي زاهر ــ أعلام الفلسفة الحديثة ص (٢٢) وما بعدها ــ القاهرة ١٩٧٩ م .
(٦) الأحزاب الآيتان (٦٧ ــ ٦٨) .

أهملهما علماء الغرب ــ وهاتان الصفتان هما :

أولاً : الإيمان بالله والخوف منه والتقوى :

فهي أهم صفة ينبغي أن يتحلى بهـا الباحث فالعلم نور يهديه الله لمن يشاء ، ونور الله لا يهدى لعاصي فـلا بد من تقوى الله والخوف منه ومراقبته يقول الله تعالى : ﴿ واتَّقُوا اللَّهَ ويُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[1] ويقـــول : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾[2]، وقـد يعتـرض البعض على هذا بأن العصـاة والكفـرة والمشـركين في أوربا والصين واليابان وغيرها قد وصلوا إلي أرقى الأبحاث العلمية بدون إيمان ولا تقوى ؟ ونقول إن هذا نوع من الابتـلاء فـالله قـد ابتلاهم وأمـد لهم في النعمـة، وليس لهم في الآخـرة من نصيب ، ولنتأمل قـول الله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ومَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيب ﴾[3] .

فالله سبحانه وتعالى قد يبتلي بالخير وبالشر معًا كما يقول :

﴿ ونَبْلُوكُمْ بِالْخَيرِ والشَّرِّ فِتْنَةً ﴾[4] ويقول الرسول ﷺ : « **لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء** » ، إذًا فلا يتشكك الباحث المؤمن في إيمانه ، لأن الكافر قـد حقق ما أراد من أبحاثه رغم كـفره ، فالله يمهل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، قيـاسًا على قول رسول الله ص : « إذا غـضب اللهُ على قـوم رزقهم من حـرام وإذا اشتد غـضبه عليهم بارك لهم فيه » .

ثانيًا : الالتزام بمباديء الأخلاق :

بحيث يكون هدفه من أبحاثه نفع الناس وتحقيق سعادتهم ، ومن هنا فعليه أن يتجنب الأبحاث والمخترعات التي تضر بالبشرية .

والإسلام لا يعترف بالعلم المجرد من الأخلاق ، ولا يدفع إلى العلم الضار الذي يؤدي بالبـشرية إلى التنازع والفناء ، وإنما يحث عـلى العلم النافع المفيـد للإنسانيـة . ولذلـك يقول الإمام الغـزالي : « إن من الأسباب في صـيرورة العلم مـذمومًا أن يكون مؤديًا إلى ضـرر إما لصاحبه أو لغيره » [5] .

ومن هنا لم تستـخدم العلوم الإسلاميـة في الشر والإيذاء أبدًا وكيف يستـخدم العلـم في الشـر وهو في الإسـلام عبادة يتـقرب بهـا الإنسان إلى الله يقـول الرسول ص : « تَعَلَّمُوا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومـذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٢) . (٢) سورة الطلاق الآية (٢ ، ٣) .

(٣) سورة الشورى الآية (٢٠) . (٤) الأنبياء (٣٥) .

(٥) د . محمد عبد المنعم خفاجي ــ البحوث الأدبية ص ١٣١ .

لمن لا يتعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة »[1] .

وأين ينبع الشر في هذا الطريق الذي تحفه خشية الله وعبادته وتسبيحه والتقرب إليه ؟

ولذا فما يحدث في الغرب الآن من اتجاه العلماء إلى اختراع أساليب الفتك والتدمير والخراب للبشرية لا يمكن أن يتفق مع مباديء الأخلاق إن اختراع جرثومة مرض الإيدز وتركيبه كيميائياً ومحاولة نشره بين الناس بواسطة الأبحاث العلمية الأمريكية لا يمكن أن يتفق مع مباديء الأخلاق .

إن اختراع أساليب العقم ونشرها بين المسلمين بهدف وقف المد البشري في العالم الإسلامي لا يمكن أن يتفق مع مباديء الأخلاق .

أما الباحث المسلم فينبغي أن يتحلى بمباديء الأخلاق ومن هنا لم نجد أحداً من التجريبين المسلمين الأوائل من أمثال ابن سينا ، والرازي ، وابن النفيس وغيرهم يتجهون بعلمهم وأبحاثهم إلى مضرة الناس ، بل اخترعوا ما فيه صالح الناس ونفعهم على قدر طاقتهم وعلمهم وظروفهم وهكذا ينبغي أن يكون الباحث المسلم متحلياً بأخلاق الإسلام .

---

(١) رواه ابن عبد البر عن معاذ : الترغيب والترهيب جـ ١ ص (٥٨) .

الفصل الخامس

مراحل وخطوات إعداد البحث

تختلف الطريقة في إعداد الأبحاث النظرية عن الأبحاث العملية ،ذلك أن الأبحاث العملية التجريبية تجري غالبًا في المعمل والمختبر أو في حقل التجارب الواقعية خلافًا للأبحاث النظرية التي تجري غالبًا بداخل المكتبة العلمية ، وإن كانت الأبحاث التجريبية تحتاج أيضًا إلى المكتبة في صياغة الجانب النظري من البحث العملي ، أو ما يسمى بنظرية البحث ومن هنا كان لابد من الفصل بين الطريقتين حيث نتحدث أولاً عن طريقة إعداد الأبحاث النظرية وأما الأبحاث العملية فقد عالجنا خطواتها من خلال كتابنا (المنطق واتجاهاته) .

مراحل إعداد الأبحاث النظرية :

تختلف عادة طريقة الباحثين الكبار في إعداد بحوثهم ، في كثير من التطبيقات الجزئية وإن كانوا يتفقون في الخطوط العامة والمراحل الأساسية وهي :

١ ـ مرحلة اختيار موضوع البحث .

٢ ـ مرحلة تحديد العنوان والخطة .

٣ ـ مرحلة التعرف على المكتبة وجمع المادة العلمية .

٤ ـ مرحلة القراءة .

٥ ـ وأخيراً مرحلة الصياغة وكتابة البحث في صورته النهائية .

ويكاد الكاتبون في مناهج البحث يتفقون على هذا الترتيب السابق لمراحل إعداد البحوث .

وقد نخالفهم شيئًا ما في هذا الترتيب ، حيث نرى أن أول مرحلة ينبغي أن يبدأ بها الباحث هي مرحلة الذهاب إلى المكتبة ، لكي يتعرف على طريقتها في التصنيف والفهرسة فإن هذه المعرفة سوف تسهل عليه مهمته في اختيار الموضوع الملائم ، وتوفر عليه كثيراً من ساعات القلق والحيرة التي تنتاب الباحث في هذه المرحلة .

ونبرر وجهة نظرنا هذه بما يأتي :

أولاً : أن الباحث يختار موضوعاً معينًا ، لا بد أن يكون اختياره قائمًا على أساس من القراءة والاطلاع من خلال الذهاب إلى المكتبات .

وأما هؤلاء الذين يختارون موضوعات من الخيال المحض أو الفكر المجرد ، فإنهم قد

يواجهون كثيراً من الصعوبات منها :

أنهم قد يختارون موضوعًا لا يمكن بحثه ، إما لأن الموضوع لا تتوفر مراجعه ، أو لأنه لا قيمة له ولا يستحق البحث وكثيرا ما تطرأ على ذهن بعض المبتدئين عناوين براقة ، ولكنها لا تصلح لأن تكون أبحاثًا علمية .

ثانيًا : إن الباحث لكي يختار موضوعًا ، لا بد أن يقوم بدراسة مسحية للبحوث السابقة التي جرت حول موضوع تخصصه بصفة عامة ، ذلك أن هذه الدراسة المسحيةولو لملخصات هذه البحوث سوف تكشف للطالب عن كثير من نواحي النقص في الدراسات السابقة والتي ما زالت تحتاج إلى إجراء بحوث [١] .

هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من البحوث عادة ما تحتوي على بعض المقترحات والتي يستطيع الباحث في ضوئها أن يختار موضوعًا مناسبًا ، كما أن هذا الاطلاع يتيح له فرصة معرفة المواضيع التي طرقت فيتحاشاها ، أو يعمل على بحثها من زاوية أخرى [٢] .

ثالثًا : وتتضح لنا أهمية تقديم هذه المرحلة حينما نقارن بين طالب تعرف على المكتبة، واستطلع بصفة عامة ما كتب حول تخصصه ، فاختار موضوعًا مناسبًا في ضوء قراءاته وفهمه وبين طالب آخر لم يذهب إلى المكتبة ، ويريد على الرغم من ذلك ـ أن يختار موضوعاً للبحث ، فإذا به قلق يتردد على أساتذته يستجدي من هذا موضوعاً ومن ذاك فكرة وقد يقترح عليه أحدهم موضوعاً أكبر من إمكاناتة ، ولا يتفق مع ميولة ، مما يوقعة في مشكلات كبرى ، ما كان أغناه عنها لو أنه أعتمد على المكتبة أولا .

لكل هذه المبررات نرى أن أول مراحل البحث العلمي هي مراحل الذهاب المكتبة ، والتعرف على أسلوب التعامل معها ، وكيفية الاستفادة منها ، وذلك ما سوف نوضحه فيما يأتي :

---

(١) د . جابر عبد الحميد وزميله ـ مرجع سابق ص (٥١) .

(٢) د. حنان عيسى سلطان وزميلها ـ مرجع سابق ص (١٣٢) .

المرحلة الأولى
المكتبـة

نحاول في هذه المرحلة أن نعطي الباحث فكرة سريعة عن مفهوم المكتبة وأهميتها ، ومنهجها في التصنيف والفهرسة ، إلا أننا ننصح الباحث بقراءة كتاب من الكتب المتخصصة في علم المكتبات [1] وسوف يجد في هوامش هذه الصفحات نماذج منها .

مفهوم المكتبة :

المكتبة مؤسسة ثقافية واجتماعية تهدف إلى خدمة المجتمع عن طريق جمع المواد الثقافية من الكتب والصور والأفلام وغيرها ، ثم حفظها وعرضها للقارىء بطريقة سهلة تجعل الوصول إلى المعلومات أمراً ميسراً [2] .

أهميتها :

تبدو لنا أهمية التعرف على المكتبة ومحتوياتها وأسلوبها من نواحي متعددة منها :

١ ـ أن المكتبة هي حياة الباحث فهي الموحية والملهمة ، والتعرف عليها يعد من أنجح الوسائل في اختصار وقت الباحث ، بدءاً من اختيار موضوع البحث وحتى مرحلة القراءة وجمع المادة العلمية ، ويتضح لنا ذلك حينما نقارن بين طالب ذهب إلى المكتبة وتعرف على طريقتها في التصنيف والفهرسة ، فيتجه مباشرة إلى ما يريد دون بحث أو تضييع للوقت ، وبين طالب آخر لم تتوفر لديه المعلومات المكتبية ، فنراه يضيع الساعات بل الأيام بحثًا عن كتاب ، وقد لا يتمكن بطريقته العشوائية من الوصول إلى الكتاب الذي يريده ، ومن هنا كانت ضرورة تزويد الباحثين بالمعلومات المكتبية التي تذلل أمامهم الصعاب ، وتساعدهم على المسارعة في إنجاز أبحاثهم .

وقد كشفت إحدى الدراسات الإنجليزية التي أجريت مؤخراً في إنجلترا حول الإعلام العلمي أن (٢٨٪) من الباحثين قد تأخروا في بحوثهم كنتيجة لجهلهم بمعلومات منشورة

---

(١) راجع على سبيل المثال : (المكتبات المتخصصة) للدكتور أحمد بدر ، وحشمت محمد قاسم ـ الكويت ١٩٧٢ (المكتبات الجامعية في الدول النامية) تأليف موريس جلفاند ـ ترجمة حشمت محمد .. لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ـ محمد عجاج الخطيب ـ دمشق ١٩٧١ ـ دليلك في المكتبة « حسن البيجرمي » ومحمد عبد الواحد ـ القاهرة ـ (مصادر المعلومات في المكتبات) الأستاذ أنور الجندي ـ الرياض .

(٢) د . ماهر حماد ـ عالم المكتبات ص (٢٥) ـ جدة ١٩٧٥ ، وقارن ص (١١) من كتاب التصنيف في المكتبات العربية ـ محمد ناصر السويدان ـ الرياض ١٩٨٢ .

ولها علاقة ببحثهم ، وقد كان في إمكانهم الحصول عليها لو توفرت لديهم الثقافة المكتبية[1] .

٢ – توفير الوقت والجهد ، فلقد أضاع كثير من الطلاب سنوات ثمينة من عمرهم هباءً ، وأعادوا كتابة أبحاثهم مرات ومرات ، لا تقصيراً منهم ، ولا لأنهم دون المستوى في الذكاء والنشاط ، بل لأنهم يجهلون كيفية الاستفادة من المكتبة بوجه عام ، واستغلال المرجع في أقصر وقت ممكن عند الوصول إليه واستخراجه من المكتبة [2] .

٣ – إن المعلومات التي يستوعبها الباحث من المكتبة ، لا تساعده فقط على اختيار الموضوع وتحديده ولكنها تساعده أيضًا في اختيار منهج البحث الملائم .

٤ – وتعد المكتبة هي أداة الباحث ووسيلته في إنجاز مايريد ، وإذا كان الصانع لا يستطيع أن يتقن صنعته إلا بالأدوات الملائمة ، فكذلك الحال بالنسبة للباحث ، فالمكتبة هي أداته ووسيلته .

٥ – وقد بلغ من أهمية المكتبات أن معظم جامعات أوربا قد أدخلت مادة الكتابة كمادة أساسية في مختلف مستويات التعليم الجامعي ، بحيث يتعرف الطالب منذ البداية على مكونات المكتبة وطرق استخدامها ، ولا يقتصر الأمر على مجرد الدراسة النظرية فقط، وإنما أضافوا الجوانب العملية حيث يذهب الطالب إلى المكتبة برفقة الأساتذة المختصين من أمناء المكتبات وتجري أمامهم البحوث التجريبية .

ولقد أوصت هيئة اليونسكو الدولية بإدخال برامج « الإعلام والتوثيق » على جميع المستويات التعليمية ، وهذه البرامج تتضمن « طرق استخدام المكتبة ومصادر المعلومات»[3].

أنواع المكتبات :

هناك أنواع كثيرة من المكتبات ، ولكل نوع طبيعته الخاصة وعلى الباحث أن يتعرف على هذه الأنواع لكي يحدد النوع الذي يستفيد منه أكبر قدر من الاستفادة في بحثه .

فهناك المكتبات العامة ، والمكتبات الملحقة بقصور الثقافة ، والمكتبات الجامعية العامة ، ومكتبات الكليات والمكتبات المدرسية ، والمكتبات المتخصصة الملحقة بالمصانع والشركات[4] .

---

(١) د . حنان سلطان ــ مرجع سابق ص (١١٩) .

(٢) د . يوسف مصطفى القاضي ــ مناهج البحوث وكتابتها ص (٥٧) .

(٣) د . أحمد بدر ــ أصول البحث العلمي ومناهجه ص (١٤٤) .

(٤) د . محمد ماهر حماد ــ علم المكتبات ص (٥٥) .

التصنيف :

هو ترتيب المواد الثقافية والكتب بحيث تكون الكتب ذات الموضوع الواحد في مكان واحد ، وبحيث ترتب الموضوعات ترتيباً منهجياً يقدم فيه العام على الخاص لكي يسهل معرفة مكان كل كتاب يطلبه القارئ (١) .

وبعد ، علماء المسلمين أول من عرفوا تصنيف الكتب والكتابة عنها فيما يسمى اليوم بعلم « البيلوجرافيا »(٢) خصوصاً وقد كان العالم الإسلامي يموج بشتى أنواع المكتبات التي كانت تصنف وتفهرس بطرق منظمة (٣) .

كما كان الفارابي سباقاً إلى الإشارة إلى فن التصنيف في كتابه « إحصاء العلوم » والذي صنف فيه العلوم تصنيفاً عاماً إلى عدة أقسام هي : علوم اللسان ، وعلوم المنطق ، والرياضيات ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم الإلهية ، وعلم الفقه ، وعلم الكلام . وأشهر من اشتغل بالتصنيف من العلماء المسلمين هو « ابن النديم » في كتابه « الفهرست » الذي صنف فيه المعرفة الإنسانية إلي أربعة وثلاثين فناً جمع تحتها كل ما يتعلق بها من كتب ، مع ذكر أسماء مؤلفيها وتواريخها ، كما يقول هو في مقدمته : « فهذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم ، الموجود منها بلغة العرب وقلمها في أصناف العلوم وأخبار تصنيفها وطبقات مؤلفيها ، وأنسابهم ، وتاريخ مواليدهم، ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلدانهم ، ومناقبهم ، ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا ، وهو سنة سبع وسبعين وثلاثمائة للهجرة »(٤) ، وابن النديم بهذا إنما يضع منهجاً علمياً لتقييم الكتب من خلال بيانه لصفات مؤلفيها ومناقبهم ومثالبهم ، وهذا ما يطالب به اليوم الكاتبون في مناهج البحث ، حيث يطلبون من الباحث أن يتحرى الدقة فيمن يقرأ لهم وينقل عنهم .

كذلك يعتبر « طاش كبرى زادة » من العلماء المبرزين في فن التصنيف حيث اعتبره علماً قائماً بذاته وعرفه بقوله : إنه العلم الذي يبحث في تدرج الموضوعات من الأعم إلى الأخص ووضع في هذا كتابه القيم « مفتاح السعادة ومصباح السيادة ».

وهكذا كان للمسلمين جهودهم الكريمة في مجال تصنيف الكتب والعلوم ، ولعل ما كتبه المسلمون في فن التصنيف قد ترجم إلى اللغات اللاتينية ، فتأثر بها مفكرو الغرب في وضع التصنيفات الحديثة .

---

(١) د . محمد زيان عمر ـ مرجع سابق ص (٢٢٣) .

(٢) ومعناها الكتابة عن الكتب ، وهي وقوائمك ولوائح مرتبة بطريقة من الطرق تحوي أسماء الكتب ومؤلفيها راجع ص (٢١٣) وما بعدها من كتاب أصول البحث العلمي للدكتور أحمد بدر .

(٣) راجع كتاب الفهرسة الوصفية للمكتبات ص (١٩) د . شعبان عبد العزيز خليفة .

(٤) راجع مقدمة الفهرست ص (٨) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التصنيف في العصر الحديث :

ظهرت تصنيفات كثيرة في العصر الحديث ، ولكن أهمها :

١ ـ تصنيف ديوي العشري .

٢ ـ تصنيف الكونجرس .

وسوف نتحدث بكلمة موجزة عن كل منهما .

١ ـ *تصنيف ديوي :*

صنف ديوي المعرفة الإنسانية إلى عشرة أقسام رئيسية ، ووضع لكل قسم رقماً ثابتاً يطلب به من المكتبات على النحو التالي :

٠٠٠ المعارف العامة .

١٠٠ الفلسفة .

٢٠٠ الدين .

٣٠٠ العلوم الاجتماعية .

٤٠٠ اللغات .

٥٠٠ العلوم البحتة .

٦٠٠ العلوم التطبيقية .

٧٠٠ الفنون .

٨٠٠ الآداب .

٩٠٠ الجغرافيا .

ثم فرع الأقسام العشر الرئيسية إلى أقسام فرعية ، وأعطى لكل قسم رقماً يعرف ، ونأخذ مثالاً واحداً على هذه التفريعات بالفلسفة التي قسمها على النحو التالي : ـ

١١٠ ما بعد الطبيعة .

١٢٠ النظريات الميتافيزيقية (المعرفة ـ الإنسان ـ الأسباب) .

١٣٠ علم النفس الشعبي (الكاذب) .

١٤٠ المباحث الفلسفية .

١٥٠ علم النفس .

١٦٠ المنطق .

١٧٠ علم الأخلاق .

١٨٠ الفلسفة القديمة والوسيطة .

١٩٠ الفلسفة الحديثة[١] .

وهكذا قسم باقي الأقسام ، كما أن كل قسم من الأقسام الفرعية يمكن تقسيمه إلى عشرة أقسام ولذلك سمي بالتصنيف العشري ولا شك أن إلمام الباحث بهذا التصنيف وأرقامه يفيده كثيراً في الحصول على الكتب بنفسه وخصوصاً في المكتبات التي تعمل وفق هذا التصنيف ، كما أن معرفته بالتصنيف يساعده على استخدام الفهارس [٢] .

وبصرف النظر عما في تصنيف ديوي من الخلط في بعض التقسيمات وإعطاء أسماء متعددة لمسمى واحد فإن لنا عليه بعض الملاحظات منها :

١ ــ أنه تصنيف قديم لا يصلح اليوم وخصوصاً بعد أن انفصلت كثيراً من العلوم وتفرغت ، فعلى سبيل المثال ، انفصل علم النفس عن الفلسفة ، وانفصل المنطق عنها .

٢ ــ أنه تصنيف أمريكي خاص ولا يصلح للمكتبات الإسلامية فقد قصر تقصيراً واضحاً في استيعاب علوم الإسلام من عقيدة وأخلاق وسياسة وتاريخ إسلامي وغير ذلك .

وقد حاول الأستاذ فؤاد إسماعيل أن يتلافى هذا النقص بإضافة أرقام تصنيف تستوعب كثيراً من الموضوعات الإسلامية [٣] إلا أن الواجب يحتم علي المتخصصين في علوم المكتبات أن يضعوا تصنيفاً جديداً للعلوم بدلاً من محاولات التعديل في تصنيف لم يضع اعتباراً لفكرنا الإسلامي .

٢ – *تصنيف الكونجرس :*

وهو تصنيف خاص بمكتبة الكونجرس الأمريكي ، قسم المعرفة الإنسانية إلى واحد وعشرين قسماً رئيسياً ــ رمز لها بالحروف الأبجدية الإنجليزية بدلاً من الأرقام ــ ثم قسم كل صنف منها إلى أقسام فرعية[٤] .

ونظراً لأن هذا التصنيف لا يستخدم إلا على نطاق ضيق ، فلا داعي لإطالة الحديث ، ، فضلاً عن إنه من التصنيفات التي وضعت لكي تعالج ثقافة خاصة هي الثقافة النصرانية يضع إعتباراً للثقافة الإسلامية بأبعادها المترامية .

هرسة :

عملية إعداد وتنظيم للكتب وغيرها من المواد الفكرية إعداداً فنياً بحيث تكون في متناول القراء في أسرع وقت ممكن وبأيسر الطرق .

---

(١) راجع كتاب التصنيف العشري الموجز ــ ملف ديوي ص (٩) ترجمة وإعداد الأستاذ فؤاد إسماعيل فهمي .

(٢) د . جابر عبد الحميد ــ مرجع سابق ص (٩٥) .

(٣) راجع ص (٦) وما بعدها من كتاب « التصنيف العشري الموجز » .

(٤) ناصر محمد السويدان ــ التصنيف في المكتبات العربية ص (٥٥) .

والفهرس : هو عبارة عن قائمة أو ثبت وبيان بما تشتمل عليه المكتبة من مقتنيات توضع في خدمة القراء [1] .

والفهرس هو مفتاح المكتبة بالنسبة للباحث ، فهو يستفيد منه من نواحي كثيرة:

١ ـ في الكشف عن المواد المكتبية الموجودة بالمكتبة لمؤلف معين خصوصًا إذا كان البحث يدور حول شخصية معينة حيث يستطيع من خلال فهرس من الفهارس أن يحصل على كل مؤلفاته وأعماله .

٢ ـ ويفيد الباحث في البحث عن كتاب لا يعرف سوى عنوانه ويريد أن يعرف باقي بياناته ، وهنا يلجأ إلى الفهرس حيث يجد اسم المؤلف وسائر البيانات .

٣ ـ يعطي الباحث صورة مصغرة ومسبقة عن الكتاب قبل استخدامه [2] .

٤ ـ يغني الباحث عن الاستعانة بأمين المكتبة والعاملين بها في كثير من الحالات وخصوصًا في المكتبات المفتوحة .

أنواع الفهارس :

للفهارس أنواع خمسة وهي :

١ ـ فهرس المؤلف : وهو فهرس رتب حسن أسماء المؤلفين ترتيبًا أبجديًا من الألف إلى الياء وهو أبسط أنواع الفهارس ويفيد في حالة ما إذا كان الباحث يعرف اسم كاتب معين ويبحث عن مؤلفاته ففي هذا الفهرس سوف يجد بسهولة كل ما كتبه هذا المؤلف مرتبًا في مكان واحد[3] وعادة ما يفيد هذا النوع من الأبحاث التي تدور حول أشخاص وفائدته قليلة بالنسبة للأبحاث الموضوعية .

٢ ـ فهرس العناوين : وهو فهرس رتب فيه بطاقات الكتب أبجديًا بحسب عنوان الكتب .

٣ ـ فهرس الموضوعات : وهو فهرس رتبت فيه بطاقات الكتب أبجديًا حسب رؤوس الموضوعات المستخدمة في الكتب إذ أن لكل كتاب موضوعًا يندرج تحته ، ففي موضوع مناهج البحث يجد الباحث عند حرف.الميم كل ما كتب عن مناهج البحث وهكذا .

٤ ـ الفهرس المصنف : ويسمى بفهرس الأرفف ، لأنه يتبع نفس نظام ترتيب الكتب

---

(١) د . شعبان عبد العزيز خليفة ـ مرجع سابق ص (٩٣) ط : مطبعة النهضة بمصر ١٩٨٠ م ، ولمزيد من التفصيل حول موضوع الفهرس راجع كتاب « قواعد الفهرس الوصفية » للأستاذ محمد السعيد فودة ـ الكويت ١٩٨٠ .

(٢) المرجع السابق ص (١٢٦) .

(٣) د . محمد ماهر حماد ـ مرجع سابق ص (١٣٢) .

على الأرفف ، وهذا الفهرس يفيد في عملية جرد الكتب وحصرها وهو يخص رجال المكتبات أكثر مما يخص الباحث .

٥ ـ الفهرس القاموسي : وهو الفهرس الأعم الأشمل بالنسبة للباحث حيث رتبت فيه البطاقات ترتيبًا أبجديًا ولكنها جمعت بين اسم المؤلف والعنوان والموضوع وهو تركيب متجانس من ثلاثة فهارس فهرس المؤلف ، وفهرس العنوان وفهرس الموضوعات [١] .

أشكال الفهارس :

تأتي هذه الفهارس في صور أربعة وهي :

الكتاب المطبوع الذي يحوي البيانات من خلال صفحاته .

الفهرس المخروم : وهو عبارة عن جزازات من الورق السميك تسجل عليها البيانات والمعلومات ثم تضم بعضها إلى بعض في دوسيه أو غلاف مقوى .

الفهرس البطاقي : المشهور وهو عبارة عن بطاقات بيضاء أو صفراء مصقولة وسميكة تسجل عليها البيانات والمعلومات ثم تصف مرتبة في أدراج معدنية أو خشبية .

وأخيراً فهناك الفهرس الإكتروني الذي ظهر في السنوات القليلة الماضية :

وهو عبارة عن جهاز استقبال تلفازي متصل بالحاسب الآلي ، ومزودًا بما يشبه الآلة الكاتبة ، وما على القاريء إلا أن يجلس إلى هذا الجهاز ويطلب من العقل الإلكتروني إمداده بما يريد من بيانات عن كتب أو مقالات لمؤلف معين ، أو في موضوع خاص ، وتأتي هذه البيانات مكتوبة على شاشة التلفاز ، وتيسيراً للقاريء زود الجهاز بآلة كاتبة تطبع تلك البيانات بعد أن يضغط القاريء على زر معين [٢] .

ولم يستخدم هذا النوع إلا في كبريات المكتبات العالمية ، نظراً لأنه ما يزال في دور التجريب ، فضلاً عن التكاليف الباهظة التي يتكلفها .

وإذا ما استطاع الطالب أن يستوعب المعلومات الخاصة بالمكتبة بحيث يتعرف بسهولة على محتوياتها وخصوصًا ما يدور حولها من تخصصه العام ثم تخصصه الدقيق ، فإنه يستطيع أن يختار موضوعًا صالحًا للبحث والدراسة ، وهنا ينتقل مباشرة إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة إختيار موضوع البحث التي اعتبرها كثير من الباحثين أول مراحل البحث العلمي واعتبرناها نحن المرحلة الثانية بعد مرحلة التعرف على المكتبة كما سبق .

---

(١) د . حنان سلطان ـ مرجع سابق ص (١٢٣) .

(٢) د . شعبان عبد العزيز خليفة ـ مرجع سابق ص (١٠٦) .

المرحلة الثانية
اختيار موضوع البحث

إن اختيار مشكلة البحث هو بحق التحدي الحقيقي لقدرات الطالب ، والعلامة الأولى على ذكائه وإمكاناته العلمية .

ومن هنا كان الاختيار مهمة الباحث وحده ، وذلك حتى يكون اختياره متفقًا مع اهتماماته ومناسبًا لقدراته في اتخاذ المنهج الملائم والخطة الواضحة التي تمكنه من إنجاز بحثه في الوقت المناسب .

إلا أن بعض الطلاب يحاولون في هذه المرحلة أن يلقوا بكل أعبائهم على أساتذتهم في القسم الذي ينتمون إليه ، فيطلبون منهم اختيار موضوع لهم .

ويحذر الدكتور شوقي ضيف من هذا الأسلوب ، ويشبه هذا النوع من الباحثين بالنباتات المتسلقة على الأشجار الشامخة ، ويعتبر أن هذا الأسلوب خطر علي الباحث خشية أن يتعثر في عمله لكون الموضوع المقترح على الباحث قد لا يتناسب مع ميوله ولا يتفق مع استعداده [(١)] .

والواقع أن لجوء الطالب إلي غيره في اختيار الموضوع دليل على قلة اطلاعه وخبرته بمجال تخصصه .

ذلك أن المشكلات العلمية التي تحتاج إلى أبحاث كثيرة ، ولكن الباحث المبتديء بحكم قلة قراءته يظن أن الموضوعات قد انتهت ، وأنه لم تعد هناك مشاكل علمية تستحق البحث ولو صدقوا في ظنهم هذا لتوقف البحث العلمي منذ أمد بعيد ولكن كما قالوا عن العلم إنه لا يعرف الكلمة الأخيرة ، وإذا كانت هذه العبارة قد قيلت عن العلم التجريبي ومباحثه ، فإنها أكثر إنطباقًا على العلوم النظرية ومباحثها .

فعلى الباحث في هذه المرحلة ألا يركن إلى قول القائل :

« ما ترك الأوائل للأواخر شيئًا »

وإنما عليه أن يعتمد على القول الآخر :

وإني وإن كنت الأخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الأوائل

ومن هنا لا بد من اعتماد الطالب على نفسه في هذه المرحلة ، وقد يظن بعض الطلاب : أن ردهم إلى وسائلهم الذاتية في اختيار الموضوع ، يشكل نوعًا من الصعوبة أو

---

(١) البحث الأدبي ، طبيعته ، مناهجه ص (١٨) دار المعارف ــ القاهرة .

التعقيد ، *والواقع غير ذلك* :

ذلك أن رد الطالب إلى وسائله الخاصة في البحث عن الموضوع المناسب هو استثمار لقدرات الطالب وتنمية لإمكاناته ، فغالبًا لا يجتاز مرحلة الدراسات العليا إلا طالب عنده الإمكانات والطموح ـ وحينما يعجز عن اختيار الموضوع فيلجأ مباشرة إلى أستاذ من أساتذته لكي يختار له موضوعًا عامًا ، نكون قد قضينا علي إمكانات الطالب ، أما حين ندفعه إلى وسائله الخاصة وإمكاناته العلمية يكابد عناء القراءة والاطلاع حتى يعثر على موضوع مناسب ، فإننا بذلك نساعده على تنمية قدراته ، ونخلق منه باحثًا .

ولذلك قالوا : إن قدرة الطالب علي اختيار البحث من خلال قراءاته وتحديده للثغرات التي يمكن أن ينفذ منها إلى تحديد بحث علمي ، إنما يمثل تحديًا لبراعة الطالب وخاصة المبتديء[1] كما أن هذه المرحلة إنما تمثل مرحلة الملاحظة في منهج البحث التجريبي وإذا كان الباحث التجريبي لا يبحث عمن يلاحظ له مشكلة معينة تحتاج إلي البحث ، فإن الباحث هنا ينبغي أن يلاحظ بنفسه المشكلة التي يريد أن يبحثها .

لكل ما سبق نقول بأن اختبار موضوع البحث هو مسئولية الباحث وحده إلا أن القواعد والإرشادات التالية قد تعين الباحث على اختيار موضوع البحث :

أولاً : التعرف على المجال التخصصي للباحث :

فإذا كان الباحث من المتخصصين في مجال العقائد والأديان مثلاً ، فعليه أن يطلع على الرسائل العلمية ، وعلى الكتب القيمة التي كتبت في هذا التخصص ، فلا شك أن هذه القراءات سوف توحى للطالب بكثير من المشاكل العلمية التي يمكن بحثها ، وسوف يستفيد منها من نواحي كثيرة منها :

ـ أن هذه الدراسات السابقة قد تشير إما صراحة وإما ضمنًا إلى مشكلات لم يستطع الكاتبون أن يصلوا فيها إلى حلول ، فيحاول هو بحثها وحلها .

ـ كما أن الباحث من خلال اطلاعه على ما كتب في تخصصه قد يلاحظ بعض المعالجات الخاطئة لموضوعات سبق بحثها فيدرسها هو بوجهة نظر جديدة ، في ضوء معلومات جديدة .

ـ كما أنه من خلال ذلك تتكون عنده فكرة عامة عن مدى أهمية الموضوعات الجديرة بالبحث ، ويستطيع بناءً عليها أن يستبعد الموضوعات التافهة ، ويستبقي الموضوعات الجديرة بالدراسة ، فيوجه نظره إليها ، ويختار لها المنهج المناسب في المعالجة .

---

(١) د . محمد زيان عمر ـ مرجع سابق ص (٦٠) .

ثانيا : التعرف على البيئة المحيطة بالباحث :

ذلك أن المشكلات الفكرية والعلمية التي تشيع في البيئة ، والتساؤلات التي تدور بين الناس عن قضايا معينة قد تكون معينا للباحث في اختار موضوع مناسب .

فعلى سبيل المثال نجد أن أساليب الغزو الفكري التي تعرض نفسها اليوم على البيئة الإسلامية تحتاج إلى دراسات علمية ، كل دراسة منها تعالج أسلوباً من هذه الأساليب بحيث تحدده وتضع في الوقت ذاته الحلول المناسبة لمعالجته ومقاومته كذلك فالتساؤلات التى تدور بين حين واخر عن التراث والمعاصرة في سائر المجالات هي في حاجة إلى إعداد رسائل علمية.

وما تتداوله الصحف من آن لآخر عن فرق ومذاهب جديدة ومباديء وآراء تحتاج أيضًا إلى دراسات وهكذا فالمام الباحث بالتساؤلات العلمية التي تردد في البيئة المحيطة به من خلال وسائل الإعلام والمحاضرات والندوات العامة ، واستيعابه لهذه التساؤلات يمكن أن يوحي إليه بكثر من المشكلات التي تحتاج إلى بحث .

وهكذا فملاحظات الباحث الميدانية وتجاربه اليومية قد تكون مصدراً للاختيار .

فالمعلم مثلاً قد يواجه مصاعب تعليمية يتطلب التغلب عليها معلومات مبنية على الدراسات العلمية المنهجية :

وعلى سبيل المثال لا الحصر من المشكلات التي كثيراً ما تواجه التربويين : معرفة أنجح الطرق في تدريس مادة معينة ، وكذلك مشكلة التقويم ، وهل الامتحانات بوضعها الحالي تكفي لإعطاء صورة واقعية عن إمكانيات الطالب أم لا ؟ وينطبق نفس القول علي ميادين كثيرة من المعرفة الإنسانية (١) .

ثالثًا : الصبر والتأني في اختيار الموضوع :

بعض الطلاب يتسرعون بتسجيل أول فكرة تلوح لهم دون تدقيق في أبعادها، ثم يبدأون البحث فيها فيفاجئون بعد ذلك بأن الموضوع أكبر من قدراتهم وإمكاناتهم ، إما لأنه واسع ولا يستطيع إتمامه وحدهم في الفترة المناسبة ، أو لأنه ضيق وعميق للغاية بحيث لا يصلح لرسالة ماجستير أو دكتوراة (٢) فهناك بعض الموضوعات التي لا تتوفر مراجعها .

وكل هذه أخطاء يقع بها الباحث نتيجة لتسرعه في اختيار موضوعه ، ومن هنا فلابد من التريث والصبر في اختيار موضوع البحث ، ثم فهمه واستيعابه ومعرفة أبعاده حتى إن بعض أساتذة البحث العلمي لينصحون الباحث بأن يوضح المشكلة ويحددها تمامًا قبل أن

---

(١) د . محمد زيان عمر ــ مرجع سابق ص (٦٢) .

(٢) د . حسين عبد الحميد رشوان ــ مرجع سابق ص (١٤٦) .

يهاجمها مهاجمة فعالة . وبعضهم يعتبر أن اختيار المشكلة المحددة بشكل دقيق وواضح هو نصف البحث [1] .

وبعد هذه الإرشادات العامة التي تعين الباحث على اختيار الموضوع ، فهناك مقومات أساسية حددها العلماء وينبغي على الباحث أن يختار بحثه في ضوءها ، وهذا ما سوف نوضحه فيما يأتي :

مقومات اختيار المشكلة :

هناك عدة اعتبارات أساسية على الباحث أن يراعيها في مرحلة اختيار البحث وهي :

١ـ حداثة المشكلة :

وذلك بتحقيق ما يأتي :

ـ أن يكون الموضوع جديداً ومبتكراً ولم يسبق دراسته من جانب باحث آخر .

ـ أن يضيف جديداً للمعرفة الإنسانية .

ـ ويمكن دراسة موضوعات سبق دراستها ولكن رأي الباحث أن هذه الموضوعات لم تستكمل نتائجها ولم تعتمد على الوسائل والبيانات المطلوبة مما جعل نتائجها مبتورة وتحتاج إلى إعادة نظر [2] .

ومثال ذلك الأبحاث العلمية التي كتبها المستشرقون عن الفلسفة الإسلامية وانتهوا في نتائجها إلى أنها مجرد تقليد وترجمة وشرح للفلسفة اليونانية ، وقد قام كثير من الباحثين المسلمين بإعادة بحث هذه المواضيع في ضوء معلومات جديدة عن الفلسفة الإسلامية والمنطق الإسلامي فأثبتوا عكس ما أثبته المستشرقون ومن تأثر بهم.

كما تعني الحداثة أيضاً طرق جوانب جديدة من مشكلة سبق بحثها دون هذا الجانب .

ويحدد « وبستر » معنى الجدة في البحث بأن لا يكون منقولاً ، أو تقليداً أو إعادة إخراج ، أو ترجمة كما يقصد « ويستر » بالجدة أيضاً أي إضافة جديدة ولو لمشكلة سبق دراستها [3] .

وهكذا يشترط في هذا النوع الأخير من الأبحاث الأصالة الفكرية التي يجب أن يعتز بها الباحث ، لأن تقديم أفكار شخص آخر على أنها أفكار المرء نفسه لا يعتبر تضليلاً فحسب ، بل يعتبر دليلاً على عدم احترام الذات .

---

(١) د . حنان سلطان ص (٩٥) من المرجع السابق .

(٢) د . جابر عبد الحميد ــ مرجع سابق ص (٥٤) .

(٣) نقلاً عن د . محمد زيان عمر ص (٦٥) من المرجع السابق .

وأعظم مكافأة للباحث الأصيل هو شعوره بالرضا الذاتي حين يقدم فكرة جديدة في بحثه ، أو يضع لبنه في صرح المعرفة الإنسانية الشامخ ، وبالطبع لن يكون البحث أصيلاً إذا كان مجرد صب لأفكار وآراء الباحثين في قوالب جديدة [(١)] .

والخلاصة :

أن البحث العلمي الجديد لابد أن يحقق أحد أمرين :

* إما أن يضيف جديداً مبتكراً إلى رصيد المعرفة الإنسانية .

* وإما أن يعدل من مسار أفكار خاطئة .

وإذا خلا البحث عن واحد من هذين الأمرين فقد قيمته .

٢ ـ *الأهمية والقيمة العلمية* :

فليس كل جديد جديراً بالدراسة فقد تكون المشكلة جديدة ولم تبحث من قبل ، ولكن ليس لها قيمة علمية تدعو إلى بذل المجهود في دراستها .

فلابد أن يشعر الباحث بأن موضوعه يستحق البحث ولابد أن يلاحظ الباحث في أهمية المشكلة ، علاجها لمشكلات فكرية أو واقعية يعاني منها المجتمع . أو بمعنى أوضح لابد أن تتصف هذه المشكلة بالمعاصرة ما أمكن .

ومثال ذلك أن بعض الطلاب يتجه في دراساته الكلامية والفلسفية إلى موضوعات محدودة القيمة والأهمية إذا ما قورنت بالموضوعات التي يعاني منها المسلمون اليوم من أمثال : المذاهب المعاصرة – المنهج العلمي الذي ينبغي أن يعتمد عليه علم الكلام اليوم – الفرق الإسلامية الحديثة .

وكذلك الشبه المطروحة على الإسلام اليوم في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد فبدلاً من أن يختار الباحث في مجال الشريعة الإسلامية مخطوطًا محدود القيمة ويبذل فيها مجهودات مضنية ، عليه أن يعود إلى الموضوعات المعاصرة التي يعاني منها المسلمون اليوم ، موضوع المعاملات المالية التي تشوبها شائبة الربا ، موضوعات تقنين الشريعة الإسلامية ومحاولة صياغة كل تشريعات الإسلام في صورة مواد وقوانين ومع أن بعض المؤسسات الإسلامية قد قامت بمثل هذا العمل إلا أن البحوث والرسائل العلمية تكون أكثر قدرة وأكثر منهجية ومسئولية في معالجة هذه المسائل .

٣ ـ *الميول والدوافع* :

لابد أن يشعر الباحث بأن الموضوع الذي اختاره نابع من ذاته ومتفق مع ميوله ودوافعه ، لأن هذا سوف يكون من أهم العوامل في إقبال الباحث على إنجاز بحثه بروح

---

(١) المرجع السابق ص (٦٨) .

عالية .

ويذهب علماء علم النفس التعليمي إلى القول بأن التعلم القليل يحدث عندما لا تكون هناك درجة عالية من الاهتمام والميل وعلى هذا فإن الموضوعات الجاهزة التي تعدها بعض الأقسام وتفرضها على طلاب الدراسات العليا ، أقول إن هذه الموضوعات قد لا يستطيع الباحث من خلالها أن يقول كل ما يريد ، ولا أن يؤدي واجبه كما ينبغي .

٤ ـ *توافر المصادر والمراجع* :

لابد أن يضع الباحث في اعتباره أن يختار موضوعًا يمتاز بالوفرة في المصادر والمراجع وليحذر الباحث أن يختار موضوعًا قليل المراجع القلة التي لا تكفي لإنجاز بحثه أو أن تكون موجودة ولكن في بلد آخر يكلفه الإقامة والأسفار لجمع المادة العلمية .

إذًا فمن الأفضل بداية أن يختار الطالب الموضوع الذي يتمكن من إنجازه في ضوء المراجع والمصادر المتاحة له وذلك توفيراً للوقت والجهد .

٥ ـ *مراعاة الوقت اللازم لإنجاز البحث* :

فلا يختار الطالب الموضوعات الموسعة التي تحتاج إلى الوقت الطويل لإنجازها وإنما يختار الموضوع الملائم للوقت المحدد وخصوصًا في حالة الابتعاث للخارج إذ إن مدة البعثة تكون محدودة ، وأحيانًا ما يعود الطالب ولم يستكمل دراسته بعد بسبب سوء الاختيار للموضوع المناسب ، وإلا فسوف يعرض نفسه لأمور قد تصرفه عن البحث نهائيًا وإن كنا نرى أن عامل الوقت مرتبط بعامل آخر وهو قدرة الطالب وكفايته للبحث العلمي .

٦ ـ *أيضًا لابد من مراعاة الناحية المادية والإمكانات الفنية والبشرية:*

ذلك أن بعض البحوث التجريبية أو الإحصائية قد تتطلب من الباحث شراء مواد وأدوات تمكنه من إنجاز بحثه ، وهنا لابد أن يلائم الطالب بين قدراته المادية وبين متطلبات البحث [١] .

* * *

---

(١) راجع ص (١٤٨) من كتاب ميادين علم الاجتماع د . حسين عبد الحميد رشوان ، وقارن ص ٥٩ من مناهج البحث في التربية وعلم النفس د . جابر عبد الحميد .

المرحلة الثالثة
تحديد عنوان البحث وخطته

بعد اختيار الموضوع العام للبحث ينتقل الباحث إلى مرحلة تالية وهي مرحلة تحديد البحث تحديداً علمياً عن طريق وضع العنوان المناسب الذي سيترتب عليه خطة البحث وبالتالي منهجه فقد يرى الباحث أن شخصية من الشخصيات الفكرية تستحق الدراسة ، وهنا عليه أن يحدد أي جانب من جوانبها هو الأجدر بالدراسة ، فقد يكون لهذه الشخصية جوانب كثيرة .

ولنفترض أن الباحث قد لحظ أن عصراً من العصور الإسلامية ـ وليكن القرن الخامس الهجري ـ جديراً بالدراسة ، فإنه لابد عليه أن يحدد أي الاتجاهات الفكرية هي التي يدرسها ، هل سيدرس الاتجاهات الفلسفية ، أو الكلامية ، أو الصوفية .

ومن هنا ينتقل الباحث من تحديد الموضوع إلى تحديد العنوان . ويشترط في عنوان البحث أن يكون جذاباً وطريفاً ودالاً على محتويات الرسالة ، وفي الوقت ذاته بعيداً عن العبارات الإنشائية ، وأذكر هنا أنني عندما كنت أختار موضوع بحثي للدكتوراة اخترت موضوع المنطق الإسلامي وعندما حددت العنوان وضعت له العنوان التالي « قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين » إلا أن أستاذي الدكتور عوض الله حجازي مدير جامعة الأزهر الأسبق ، قد أشار علي بتغيير العنوان وجعله أكثر دلالة على الموضوع ، واستبعاد ما فيه من عبارات تخيلية ، وقد اتفقنا على أن يكون العنوان هكذا « جهود المفكرين المسلمين في الرد على منطق اليونان » وقد وضع « بيجالو » لتحديد العنوان قاعدة مؤداها : أن يشمل العنوان من المعلومات ما يدفع باحثاً آخر أن يبحث عن هذه المعلومات تحت هذا العنوان(1).

بمعنى أن يكون البحث دالاً أوضح دلالة على محتوياته وعلى هذا فمن واجب الباحث أن يتجنب العناوين العامة غير المحدودة ، لأنه بين أمرين أحلاهما مر:

ـ فإما أن يستوعب كل العناصر التي تدخل تحت هذا العنوان وهذا ما قد يفوق قدرته ووقته .

ـ وإما أن يبحث الموضوع على قدر طاقته فيؤخذ عليه التقصير في بحثه حيث إن العنوان أوسع بكثير مما عالجه بالفعل .

ومما يتصل بتحديد المشكلة والعنوان ، أن يحدد المصطلحات الواردة في عنوان بحثه لكي يوضح المطلوب منها .

---

(1) نقلاً عن : كيف تكتب بحثاً أو رسالة للدكتور أحمد شلبي ص (٤٧) .

وهذه النقطة السابقة هامة جداً ولمصلحة الباحث حتى لا يقع في خطأ استخدام مصطلح واحد بمعنيين مختلفين كما أنه سوف يغلق عليه بابًا من الجدل حول الأسئلة التي عادة ما توجه إليه من المناقشين حول مراده من استخدام هذا المصطلح أو ذلك .

« ولقد قال فولتير : « إذا أردت التحدث معي فحدد مصطلحاتك وكم من مناقشات كان بالإمكان اختصارها إلى فقرة واحدة لو تجرأ المناقشون على تحديد مصطلحاتهم أو تعريفها [(١)] .

والخلاصة :

فإن الباحث في هذه المرحلة عليه أن يضع في اعتباره النقاط التالية :

١ ـ الابتعاد عن العناوين التي تتسم بالغموض أو التشعب أو الشكلية .

٢ ـ صياغة المشكلة على هيئة سؤال يتطلب إجابة محددة .

٣ ـ الدقة والعناية وذلك يستدعي إلغاء جميع العوامل التي لن تؤخذ في الاعتبار من العنوان .

٤ ـ تعريف المصطلحات المستخدمة في صياغة العنوان وتحديدها بدقة وعناية[(٢)] .

تخطيط البحث :

بعد تحديد العنوان لابد من وضع الخطة التي يمكن أن يعالج البحث من خلالها .

وهذه الخطة لابد أن تأتي وليدة للفكر الواعي والنظرة الثقافية التي تحلل عنوان البحث إلى نقاط رئيسية ، ثم تحلل هذه النقاط إلى فروع جزئية ، ثم تحلل الفروع إلى مباحث صغيرة والنقاط الرئيسية تسمى أبوابًا وفروعها اتسمى فصولاً وأجزاء الفروع تسمى مباحث.

ـ ولابد أن تكون الخطة مستوعبة لكل جوانب المشكلة بلا زيادة ولا نقص ، لأن الزيادة مضيعة للوقت بلا مبرر والنقصان عيب وتقصير يقلل من قيمة البحث .

ـ كما أنه لابد أن يكون هناك ارتباط منطقي بين الأبواب والفصول بحيث يسلم الباب إلى الباب والفصل إلى الفصل ، كما أنه لابد أن يتلافى أخطاء القسمة وهنا ننصح الطالب أن يقرأ أولاً موضوع القسمة المنطقية في أي كتاب من كتب المنطق ، فسوف تعطيه هذه القراءة معلومات مهمة عن القسمة والتقسيم وسوف تجنبه كثيراً من الأخطاء وعلى الباحث أن يعلم أن نجاحه في مهمته إنما يتوقف بالدرجة الأولى على الخطة التي يضعها ، لأنه بناء عليها يحدد أهداف البحث ، والأدوات التي

---

(١) ول ديورانت ـ قصة الفلسفة ص (١٤٠) .

(٢) د . محمد زيان عمر ـ مرجع سابق ص (٧٣) .

يستخدمها ، وأسلوب المعالجة وغير ذلك من الأمور التي تنير الطريق أما م الباحث وتزوده بالثقة والاطمئنان.

الإجراءات الرسمية :

بعد أن يحدد الباحث موضوعه وعنوانه وخطته ، ويحدد المصطلحات والوسائل والمناهج التي سيتبعها في حل مشكلته وعليه أن ينتقل إلى المرحلة الرسمية في تسجيل البحث فيعرضه على القسم المختص لدراسته .

وهنا عليه أن يقدم بالتفصيل مخططًا تمهيديًا مكتوبًا حول موضوعه ، بحيث يتضمن هذا المخطط عرضًا دقيقًا للمشكلة التي اختارها وحدودها وأهدافها ، والأسباب التي دعته إلى القيام بها ، وعرض مبسط لأهم المراجع التي عالجتها ، والتي يمكن الاعتماد عليها في إنجازها . ثم يكتب هذا الموجز علي الآلة الكاتبة بعدد أعضاء مجلس القسم الذي يعقد Seminar. خاصًا لمناقشة هذا الموضوع .

ثم يبدأ الأساتذة بمناقشة الموضوع وتقييمه ولا شك أن الأساتذة بما لهم من خبرات قد يزودونه بخلفيات علمية تساعده على إعادة النظر في الخطة والمنهج أو في تحديد العنوان، أو بإرشاده إلى بعض المراجع الهامة في الموضوع (١) .

وإذا وافق القسم على الموضوع من حيث المبدأ فإنه سيعين له مشرفًا من السادة الأساتذة المختصين في مثل هذا الموضوع ، ولا شك أنه بما له من خبرة قد يوجهه إلى إرشادات جديدة ، فيقوم الطالب بتجميع الملاحظات أو الإرشادات ويعيد كتابة الخطة في ضوءها .

وهنا لابد من أن نقف وقفة متأنية لتحديد العلاقة بين المشرف والطالب لما يحدث أحيانًا من لبس .

علاقة الباحث بالمشرف :

إن علاقة الطالب بمشرفه هي علاقة العالم بالمتعلم ، بما توجبه هذه العلاقة من آداب وأخلاقيات ، وحقوق وواجبات .

فمن واجب الباحث أن يستمع إلي مشرفه بإنصات وأدب وأن يستجيب للتوجيهات التي توجه إليه ، إلا أن هذا لا يمنع الباحث من السؤال والاستفسار الدائم عن كل ما يسمع من توجيهات ، كما أن ذلك لا يمنعه أبدًا من عرض رأيه بشجاعة وبإسلوب مهذب وخصوصًا إذا كان مخالفًا لرأي أستاذه ، فالحق لا يعرف المجاملة ، وإن الله لا يستحي من الحق ، ذلك أن الباحث في النهاية إنما يتحمل العبء الأكبر من المسئولية عن بحثه ، فمن

---

(١) د . جابر عبد الحميد ــ مرجع سابق ص (٤٩) .

حق الباحث أن يسأل وأن يستفسر أما الباحث الذي يجلس أمام أستاذه مجلس المتلقي فقط فهو باحث ضعيف وغير جاد في البحث العلمي .

ولكن ليس معنى ذلك أن يلجأ الباحث إلى مشرفه في كل قرار يريد أن يتخذه في بحثه ، وإنما عليه أن ينظر إلى مشرفه على أنه ملاذ يلجأ إليه لكي يقدم المساعدة فقط عندما يصبح السير عسيراً ، إن البحث سوف يفقد الكثير من قيمته بالنسبة للباحث ، ولن يكون اختباراً حقيقياً لقدراته لو أن الكثير من القرارات الأساسية اضطر الأستاذ المشرف على الرسالة إلى اتخاذها بدلاً من أن يتخذها الباحث نفسه [١] .

ـ كما أنه من واجب المشرف أن يفسح وقته وصدره للباحثين فلا يهمل متابعة البحث في مراحله المختلفة ، ولا يجبر الباحث على اعتناق رأيه وخصوصاً في المسائل الاجتهادية التي تحتمل الآراء ، بل من الواجب أن ينمي في الطالب الاستقلال الفكري بحيث لا يكف عن توجيه الأسئلة المثيرة التي تنير للباحث الطريق مثل:

ـ ما هو الهدف من هذه الخطوة ؟ وقد يغير ألفاظ السؤال فيقول ما الذي تريد أن تبحث عنه في هذه النقطة ؟

ـ وهل النتائج التي وصلت إليها في هذا الفصل تتفق مع المقدمات التي قدمتها.

والهدف من هذه الأسئلة هو إثارة تفكير الباحث وتوجيهه إلى الخطوات الصحيحة بطريقة علمية ، لأن الأسئلة تفيد الباحث وتعطي نتائج طيبة أكثر من التوجيهات المباشرة [٢] فقد تغير دور المشرف من دور صاحب السلطة المستحوذ على المعرفة إلى دور الخبير بأساليب البحث العلمي الذي ينمي في الباحثين القدرة على البحث بوسائلهم الخاصة ، على طريقة سقراط في التهكم والتوليد [٣] هذه الطريقة التي أعدت فلاسفة عظام من أمثال أفلاطون .

إلا أن ذلك لا يعني أن يترك الحبل على الغارب للباحث المبتديء يقول ما يشاء، فهناك بدهيات العلوم وحقائقه الثابتة ، وهناك مسلمات التخصص الذي ينتمي إليه ، وقد يخرج الطالب على بعض هذه المسلمات لشبهة تعرض له ــ وهنا لا بد أن يقف وقفته الجادة والمقومة ، ولا يعفى المشرف في هذه الحالة من المسئولية .

ومع أن كثيراً من المشرفين يقولون بأن مسئوليتهم عن البحث هي في حدود المنهج

(١) راجع ص (٥٧) من كتاب البحث العلمي للدكتور محمد زيان عمر وقارن ص (٤٤٢) من كتاب أصول البحث العلمي للدكتور/ أحمد بدر .

(٢) د . حنان سلطان ــ المرجع السابق ص (١١٢) .

(٣) راجع كتاب في الفلسفة اليونانية وصلتها بالفلسفة الإسلامية لأستاذنا الدكتور عوض الله حجازي ــ مدير جامعة الأزهر الأسبق .

فقط فإنني أرى أنهم مسئولون مسئولية كاملة ، وخصوصًا أن بعض الباحثين قد يجنحون إلي تبني آراء باطلة تتعارض بطبيعتها مع مسلمات أساسية في مجال تخصصهم .

ـ ومن واجب المشرف أيضًا أن يتابع الطالب دائمًا ويسأله عما وصل إليه ، فهذا يدفع الطالب إلى الإنجاز والثقة .

ـ ومن واجب الطالب أن يعلم أن وقت المشرف ليس سهلاً ولا هينًا ، فلا يضيع هذا الوقت إلا في المفيد لذلك ، يجب عليه قبل مقابلة المشرف أن يدون الأسئلة التي يريد الاستفسار عنها ، وأن يكتب كل ما يعرضه المشرف من إجابات واقتراحات .

ـ وهنا لا أنسى المنهج الأخلاقي العلمي الذي طبقه معي أستاذي الدكتور/ عوض الله حجازي الذي كان رئيسًا للجامعة ولم تمنعه مسئولياته العظيمة من متابعتي وقراءة كل ما أكتب وتوجيهي إلى أخطائي ، وتحديده موعدًا للقاء التالي .

ويشهد الله أن منهجه هذا قد ساعدني في إنجاز بحثي في فترة قياسية .

وهكذا ينبغي أن يكون الإشراف العلمي ـ أما هؤلاء الذين يثقلون أنفسهم بعشرات الرسائل العلمية ، ثم لا يقومون بواجبهم فحسابهم عند الله عظيم فهم بين أمرين :

ـ إما أن يجيزوا الأبحاث بلا قراءة ولا اطلاع كما ينبغي وهم بذلك يهدمون البحث العلمي فقد تكون عند الباحث إمكانيات ولكن المشرف لم يستغلها كما ينبغي فأخرج في عالم البحث إنسانًا ضعيفًا اعتاد على نمط هزيل من الأبحاث .

ـ وإما أن يدققوا في الأبحاث ويؤدوا واجبهم فيضعون الطلاب في طابور طويل حتى يسمح الوقت بمراجعة أبحاثهم واحدًا بعد الآخر .

والخلاصة :

أن البحث العلمي أمانة في رقبة المشرفين وبمقدار أدائهم لواجبهم ، بمقدار مايساهمون في ازدهار الحركة العلمية وتقدمها في بلادهم .

* * *

المرحلة الرابعة
حصر المصادر والمراجع

بعد أن يكون الباحث قد تعرف على أسلوب المكتبة في فهرسة وتصنيف الكتب ، وبعد الموافقة الرسمية على البحث موضوعًا وعنوانًا ، ينطلق الباحث إلى المكتبة مرة ثانية وهي أمامه كالكتاب المفتوح ، فقد تعرف على أسرارها واستفاد منها في المرحلة الأولى وقبل اختيار موضوع البحث .

وينصح بعض الكاتبين أن يحمل الطالب معه كروتًا يدون في كل كرت منها :

اسم الكتاب واسم مؤلفه ، وتاريخ طبعه ومكان الطبع واسم دار النشر إن وجد ثم اسم المكتبة التي يوجد بها الكتاب .

ولا يكتب في كل كرت إلا كتابًا واحدًا .

ونرى تسهيلاً على الباحث أن يحمل معه كشكولاً خاصًا يدون فيه بالترتيب الكتب التي تتعلق بموضوعه ، مضافًا إليها المعلومات السابقة ، ففي الصفحة الواحدة قد يدون ما يزيد على عشرين مصدراً خلافًا للكروت التي يدون فيها مصدراً واحداً في الكرت مما يضخم من أعدادها ويشكل عبئًا في استخدامها .

وعلى أية حال فالطالب يختار ما يشاء من الطرق المناسبة وفي هذه المرحلة لا يكتفي الطالب بمجرد جمع الكتب التي تتصل بموضوع بحثه من فهارس المكتبات ، وإنما عليه أن يستعير الكتاب وأن ينظر فيه نظرة سريعة على ضوء فهرسه ومقدمته لكي يتأكد من مدى صلته بموضوعه ، وبعد أن يحصر كل ما يقع تحت يده من الكتب التي عالجت موضوعه من قريب أو من بعيد مسجلاً بياناتها الكاملة في كشكوله الخاص ، عليه أن يفرزها فرزاً علميًا يحدد فيه أولويات القراءة .

وهنا عليه أن يعرف الفرق بين المصادر والمراجع وبين الكتب الأساسية والكتب الثانوية .

المصادر والمراجع :

هناك تعريفات متداخلة للمصدر والمرجع ، ولكننا نحاول أن نركز على أبسط هذه التعريفات وهي :

المصدر :

هو أقدم مادة علمية كتبت عن الموضوع ، وتتميز مادته بما يأتي :

١ ـ الأصالة .

٢ ـ الشمول .

٣ ـ المعالجة الموضوعية غالبًا .

٤ ـ التنظيم .

٥ ـ المعلومات الصحيحة .

أما المرجـع :

فيطلق على الكتب الحديثة التي عالجت الموضوع [١] وليس من الضروري أن تجمع الخصائص السابقة ، فهي تأخذ المادة الأصلية وتعالجها بطريقة خاصة ، ويحاول كاتبها أن يبرزها في ثوب جديد وليس من اللازم أن تكون المعالجة صحيحة ، فقد يخطيء في النقل أو في الفهم أو أن يكون له غرض معين فيحاول تطويع النصوص لخدمة غرضه .

ومثال ذلك إذا كان الباحث يكتب موضوعًا عن الغزالي مثلا ، فإن ماكتبه الغزالي ومعاصروه عنه ، يعتبر مصدراً أما ما كتبه باحث محدث عن الغزالي يعد مرجعًا فقط ، إذا كان الباحث يكتب موضوعًا في الأدب العربي فإن كتب التراث والدواوين القديمة تعد مصدراً وما كتب عنها حديثًا يعد مرجعًا .

وقد حدد الباحثون أنواع المصادر والمراجع فيما يأتي :

أولاً : المخطوطات القديمة والوثائق والمذكرات :

وسائر المصادر التي تحتوي معلومات يمكن وصفها بالصحة والصدق .

ثانيًا : الموسوعات العامة ودوائر المعارف .

ثالثًا : القواميس والمعاجم اللغوية وأهمها :

ـ لسان العرب لابن منظور الذي يقع في عشرين جزءًا .

ـ القاموس المحيط في أربعة أجزاء .

ـ المصباح المنير وهو جزءان في مجلد واحد .

ـ ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي .

وبالإضافة إلى القواميس والمعاجم التي صدرت حديثًا وهي كثيرة وعلى الباحث أن يهتم بهذه القواميس ويتعرف على طريقتها في الكشف عن المادة العلمية لكي يسهل عليه أن يستخلص منها ما يريد ، فهي تفيده في تحديد معاني الألفاظ التي تستشكل عليه .

رابعًا : كتب التراجم والطبقات :

التي تتحدث عن أعلام العلماء والمفكرين وتحدد مؤلفاتهم وأعمالهم العلمية كما

---

(١) د . عبد الستار الحلوجي ـ مدخل لدراسة المراجع ص (١١٣) ـ القاهرة سنة ١٩٧٤ م .

تتحدث عن العلوم وأهم المصنفات فيها :
- الأعلام ـ للزركلي .
ـ ومعجم الأدباء ـ لياقوت الحموي .
ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ لابن أبي أصيبعة .
ـ الفهرست ـ لابن النديم .
ـ مفتاح السعادة ومصباح السيداة ـ لطاش كبرى زاده .
ـ معجم البلدان ـ لياقوت الحموي .
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ ابن العماد .
ـ وفيات الأعيان ـ لابن خلكان (١).

وغيرها كثير من كتب التراجم التي سيجدها الباحث عند الرجوع إلى المكتبة.

خامساً : التفاسير القرآنية قديمًا وحديثًا .

سادساً : كتب السنة النبوية المطهرة وأهمها الصحاح الستة .

سابعًا : الكتب الحديثة التي كتبت عن الموضوع .

ولكن كيف يحدد الباحث أولويات القراءة ؟

هنا نجد الدكتور أحمد شلبي وجمهرة من الباحثين ينصحون بأن يبدأ الباحث بقراءة ما كتب عن موضوعه بدوائر المعارف العالمية نظرًا لأنها تعطي فكرة مبسطة عن الموضوع فضلاً عن أنها ترشد الباحث إلى المصادر العامة بما تذكره من مراجع ومصادر ومما تورده من معلومات (٢) .

ونحن نخالف هذا الرأي تمامًا وننصح الباحث بأن يقرأ أول ما يقرأ في الكتب الأساسية التي عالجت موضوعه وذلك لما يأتي :

١ ـ توفيراً للوقت والجهد ، فقد يجهد نفسه في قراءة معلومات مشوشة من خلال هذه الموسوعات ، ولن يغنيه ذلك عن الرجوع إلى المصادر الأساسية .

٢ ـ إن المعلومات التي ترد في دوائر المعارف العالمية لم تكتب عادة للمتخصصين وإنما كتبت لكي تعطي صورة عامة عن موضوعاتها .

٣ ـ إن ما كتب عن الإسلام بصفة عامة وفي كل مجال من مجالاته قد كتب بعقول مدخولة ونفوس مريضة حاقدة على الإسلام ، فاقدة للموضوعية في البحث العلمي من حيث اعتمادها على مصادر ثانوية ومغرضة في عرض حقائق الإسلام .

---

(١) د . أنور عمر ـ مصادر المعلومات في المكتبات ص (٤٢) الرياض سنة ١٩٨٠ م .
(٢) كيف تكتب بحثًا ص (٥٢) .

ونحذر على سبيل المثال من الدوائر والموسوعات التالية :

١ ـ دائرة المعارف الإسلامية .

٢ ـ دائرة المعارف السوفياتية .

٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة .

٤ ـ قاموس المنجد .

ويقاس عليها دوائر المعارف الأجنبية وإذا كان لا بد من الرجوع إليها فليكن ذلك بحذر وشك في كل المعلومات الإسلامية التي وردت فيها حتى يحققها الباحث بنفسه من خلال المصادر الأساسية ومن هنا كان على الباحث أن يعرف الفرق بين المصادر العلمية المحترمة وبين المصادر الأخرى التي تحوي معلومات مضللة.

وقد حدد الدكتور ماهر حماد اعتبارات خاصة يستطيع الباحث على ضوءها أن يتعرف على خصائص المصدر الجيد وهي :

١ ـ المؤلف : معرفة اتجاهه ، وجنسيته وعقيدته .

٢ ـ المحرر : فعادة ما يتولى الإشراف على الأعمال المصدرية الكبرى محرراً أو رئيس تحرير أو هيئة تحرير ومعرفة الباحث بهؤلاء الأشخاص تعطيه فكرة جيدة عن قيمة عملهم .

٣ ـ خطة العمل في المصدر .

٤ ـ طريقة ومنهج معالجة الموضوعات : هل هي معالجة سطحية أو عميقة ، هل هي متعصبة تطرح وجهة نظر معينة دون بقية وجهات النظر المضادة ، أم موضوعية وتعرض وجهات النظر المختلفة بأمانة .

٥ ـ جدة المعلومات ومدى وثاقة المصادر التي يعتمد عليها المؤلف(١) .

كل هذه المعلومات هامة يجب على الباحث أن يضع لها ألف حساب عند الرجوع إلى مصدر ما ، لأنه قد يعتمد في فكرة معينة على مصدر يظن أنه من المصادر الموثوق بها ثم ينتهي به هذا المصدر إلى الوقوع في الخطأ ولا يعفيه من هذا الخطأ أن ينسبه إلى مصدره لأن مهمة الباحث ليست مجرد النقل ، وإنما التمحيص والتحقيق لما ينقل ، فإذا ما اكتفى بمجرد النقل فعلى مسئوليته ، وسوف يحسب عليه عند تقويم البحث .

كما أن مهمته هي التمييز والدقة في اختيار المصادر والمراجع ، ومن يتلقى عنهم

---

(١) د . ماهر حماد ـ علم المكتبات ص (١١٢) .

المعارف والعلم [١] قال تعالى : ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [٢] وقال : ﴿فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [٣] .

أهمية هذه المرحلة :

تعتبر مرحلة حصر المصادر والمراجع من المراحل الأساسية في البحث العلمي ، وقد شبه (فاندلين) الباحث الذي يمتلك مهارة حصر المصادر العلمية بصورة سليمة ، بالشخص الذي يمتلك مفاتيح الإنارة بمنزله [٤] .

وتتضح أهمية هذه المرحلة فيما يأتي :

١ ــ تعد البداية الحقيقية للبحث ، إذ يحاول الباحث بعد ذلك أن يستمد من مصادره الآراء والأفكار المتعلقة بموضوعه .

٢ ــ تعطي هذه المرحلة قدراً كبيراً من الاطمئنان النفسي للباحث ، فإنجازها هو المؤشر علي توافر مصادر البحث ومراجعه ، وبالتالي فإن العمل لن يكون شاقًا ، مثل العمل في أبحاث نادرة المراجع والمصادر .

٣ ــ كذلك فهي ضرورية لتحديد أولويات القراءة الهادفة الوثيقة الصلة بموضوع الرسالة ، خلافًا لمن يتجاوزون هذه المرحلة ، إلى مرحلة القراءة المباشرة لكل ما يقع تحت أيديهم دون تمييز وحصر لها ، وسوف يكتشفون في النهاية أنهم قد ضيعوا وقتًا كبيراً في قراءات قليلة الفائدة لموضوعهم .

٤ ــ وتعطي للباحث صورة عامة عن أبعاد موضوعه ؛ كما تحدد له النقاط المتصلة بجوهر البحث ، والأخرى غير الضرورية .

٥ ــ وتفيد الباحث في كتابة مصادر بحثه بعد أن ينتهي من كتابة الرسالة ، وتوفر له كثيراً من الوقت والجهد [٥] وسوف تتضح له أهمية هذه الخطوة حين يهمل كتابًا ولا يذكر معلوماته في الكشكول الخاص بها ، وعند توثيق ما أخذه من هذا الكتاب أو عند كتابة المصادر في نهاية البحث سوف يضطر أن يذهب إلى المكتبة مرة ثانية لاستكمال معلومات هذا الكتاب ، وقد ينسى المكتبة التي قرأه فيها فيفكر طويلاً حتى يتذكرها أو يحاول البحث عنه في مكتبات أخرى ، هذا عن كتاب واحد فما بالنا لو سار البحث كله بهذه العشوائية .

* * *

---

(١) د . عبد الرحمن عميرة ــ مرجع سابق ص (٨٥) .
(٢) سورة الأنبياء : الآية (٧).
(٣) سورة الفرقان الآية (٥٩) .
(٤) د . حنان سلطان ــ المرجع السابق ص (١٥٣) .
(٥) المرجع السابق ص (١٤٧) .

المرحلة الخامسة
القراءة وجمع المادة العلمية

يبدأ الباحث هذه المرحلة بإعداد دوسيه يقسمه على حسب الأبواب والفصول والمباحث الجزئية بحيث يخصص لكل جزئية من جزئيات البحث حيزاً خاصاً ينقل فيه النصوص الخاصة بهذه الجزئية .

ومن الباحثين من ينصح باستخدام طريقة البطاقات حيث يشتري بطاقات ورقية مقواة بحيث ينقل في كل بطاقة نص أو فكرة واحدة ، وينصح بمراعاة الأمور التالية :

١ ـ كتابة عنوان الموضوع وصلته بالفصل الخاص به من البحث .

٢ ـ الدقة في تسجيل النص والتأكد من أنه سوف يخدم الموضوع ، وليس مجرد تكرار لنص مشابه .

٣ ـ أن يكتب في كل بطاقة نصاً واحداً وإذا كان الموضوع طويلاً فليخصص له مجموعة بطاقات متسلسلة ومرقمة ، المهم ألا يكتب أكثر من موضوع على نفس البطاقة حتى يسهل عليه فصل البطاقات بعضها عن بعض وتوزيعها على مواضعها الخاصة من البحث .

٤ ـ أن يحفظ البطاقات في أظرف خاصة كل مجموعة خاصة بفصل توضع في ظرف خاص يكتب عليه عنوان الفصل. (١)

والموضوع راجع إلى الطالب في اختيار الطريقة التي يشعر فيها بالراحة (٢) وإن كنا نرجح طريقة الدوسيه المقسم أو الكشكول المقسم ، لما يترتب عليه من سهولة ويسر في الاستخدام .

وأياً كانت الطريقة التي سيستخدمها الباحث ، فإن الكتب التي سوف يقرأها نوعان:

أولاً : كتب خاصة به موجودة بمكتبته أو بمكتبة زميل له يسمح له باستعارتها لفترة غير محددة .

ثانياً : كتب موجودة في المكتبات العامة تخضع لمدة الإعارة المحددة ، وتختلف طريقة جمع المادة العلمية في كل منها :

ـ فإذا كان يقرأ في الكتب الموجودة بمكتبته ، فإنه في هذه الحالة لن ينقل نصوصاً ،

---

(١) د . جابر عبد الحميد ـ مرجع سابق ص (١٠٠) .

(٢) ليعلم القارىء أنني في هذا البحث أكتب تجربتي الخاصة وطريقتي في عمل الأبحاث ، وهناك طرق أخرى كثيرة كتبها الباحثون ، وعلى الطالب أن يختار ما يستريح إليه .

وإنما سيذكر مجرد ملاحظات فقط ، حيث سيخصص لكل فصل عدد من الصفحات أو كراس صغير لنقل الملاحظات وهي عبارة عن إشارة موجزة إلى الموضوع مع رقم الصفحة واسم الكتاب واسم المؤلف .

ـ أما إذا كان يقرأ في المكتبة أو في الكتب المستعارة ، فإنه سوف ينقل بدلاً من الملاحظات النص الخاص بكل نقطة في الجزء الخاص به من الدوسيه المقسم أو في البطاقة المعدة لذلك مشفوعًا ببيانات الكتاب كاملة .

وننصح الباحث بأن يقرأ أولاً كل ما يتعلق ببحثه في مكتبته الخاصة ، ثم ينتقل إلى المكتبات العامة .

ففي هذا التنظيم توفير الوقت والجهد ، لأنه لو بدأ بقراءة الكتب المستعارة ، أو في الكتب التي لا تعار خارج المكتبة ، فسوف يضطر إلى نقل النصوص بدلاً من الملاحظات وقد تكون هذه النصوص موجودة في كتبه الخاصة ، مما يضيع وقته بلا مبرر .

أنواع القراءة :

كما هو معروف أن القراءة هي إحدى فنون اللغة الأربعة وهي :

ـ **التحدث .** ـ **الاستماع .**

ـ **القراءة .** ـ **الكتابة .**

والقراءة أنواع كثيرة منها :

١ ـ ما يهدف إلى التسلية والاستماع وشغل أوقات الفراغ .

٢ ـ ومنها ما يهدف لاكتساب القدرة على فهم المقروء وتنظيمه وتلخيصه واستخلاص ما يمكن استخلاصه منه .

وإذا كان النوع الأول لا يحتاج إلى التركيز العقلي ، فإن النوع الثاني يحتاج إلى التركيز والمتابعة [1] .

وليعلم الباحث أن طريقة القراءة وأسلوبها إنما تختلف من كتاب إلى كتاب ومن مرحلة إلى مرحلة .

ففي المرحلة الأولى تكون القراءة استطلاعية سريعة ، لأنه من خلال مرحلة تجميع المصادر والمراجع قد جمع كتبًا كثيرة منها الوثيق الصلة بموضوعه ، ومنها الذي عالج الموضوع معالجة هامشية ، ومنها الكتب البعيدة الصلة عن الموضوع ، وهنا عليه أن يتجاوز بسرعة ما هو بعيد عن موضوعه ، ويقرأ ما هو قريب منه وتعد هذه المرحلة بمثابة فحص وتمييز وتصفية للمراجع الكثيرة التي جمعها .

---

(١) د. يوسف مصطفى القاضي ـ مناهج البحوث وكتابتها ص (٦٤) .

وفي المرحلة الثانية : تكون القراءة فاحصة ومتأنية [1] لأنه سيترتب عليها بذل المجهود في نقل النص ، فلابد أن تكون قراءة واعية ومقدرة لمدى أهمية النص وصلته بالموضوع .

ومن هنا يبدأ في نقل ما يراه وثيق الصلة بموضوعه من النصوص وربما لاح له تعليق على النص ، فعليه أن يسجله على الفور على جانب النص أو في هامش الورقة التي ينقل فيها النص وبعد أن يقرأ الباحث ما وقع تحت يده من مراجع سيلاحظ أن هذه المراجع سوف تدله على مصادر كثيرة فيبحث عنها ويقرأها وعليه أن ينقل النصوص بنفس الطريقة النظامية التي أشرنا إليها ، بحيث يضع كل نص في فصله الخاص من الرسالة سواء في الدوسية أو في المظروف الخاص بالبطاقات .

وهذا التنظيم في وضع النصوص في مواضعها في غاية الأهمية ، لأن الباحث لو جمع مادته مرة واحدة بدون هذا التوزيع ، فسوف يضطر إلى إعادة توزيعه على الفصول مرة ثانية وفي هذا ضياع للوقت .

وبعد أن يقرأ الباحث مجموعة كبيرة من الكتب ، وينقل منها النصوص العامة، سوف يلاحظ أن فصلاً من الفصول قد تضخمت مادته العلمية ، وهنا لا مانع أن يتوقف عن القراءة فترة لكي ينتقل إلى مرحلة بدائية للصياغة ــ وهذا طبعًا بعد اطلاعه على أصول الصياغة وكيفية الاستفادة من النصوص ــ فيأتي الباحث بهذه المادة المجمعة، الخاصة بهذا الفصل ــ ويقسم هذا الفصل على ورقة إلى نقاط جزئية ، ثم يصنف المادة بعد قراءتها ويوزعها على هذه الجزئيات ثم يتناول أول نقطة من الفصل فيقرأ المادة الخاصة بها مرة ثانية قراءة عميقة متأنية تستكشف أبعاد النص وإمكانية ربطه بنص آخر ، فقد يصلح لأن يكون مقدمة أو نتيجة أو شرحًا وتوضيحًا لنص آخر وهكذا يقوم بعملية فرز ومقارنة بين النصوص وسوف يلاحظ أن هناك نصوصًا لا صلة لها بهذه النقطة وربما لا صلة لها بالفصل كله ، وعليه أن يستبعدها في ظرف أو دوسيه خاص لعله يحتاج إليها في مكان آخر من الرسالة .

وبعد ذلك يبدأ في صياغة هذه النقطة صياغة مبدئية هي عبارة عن الربط بين النصوص والتعليق عليها شرحًا أو نقدًا أو تأييدًا أو استنباطًا .

ثم ينتقل إلى النقطة الثانية والثالثة وهكذا حتى ينتهي الفصل صياغة مبدئية .

وتعد هذه المرحلة المتداخلة مع مرحلة القراءة من الأهمية بمكان كبير .

ــ فهي مرحلة تغير بالنسبة للباحث الذي قطع في مرحلة القراءة شهوراً مستمرة ــ فخوفًا من الملل لابد من التغيير ولابد من التوقف عن القراءة فترة وفيها يتمرس على عمل آخر هو الصياغة المبدئية .

---

(١) راجع ص (٧٠) من كيف تكتب بحثًا أو رسالة د . أحمد شلبي .

ـ كما أن هذه المرحلة المتداخلة تعطي الطالب قدراً من الاطمئنان على قدراته ومواهبه حيث سيشاهد ولأول مرة عدداً لا بأس به من الصفحات مكتوباً بأسلوبه الخاص .

ـ وسوف تسهل عليه تصنيف النصوص الأخرى التي سيقرأها لأنه سوف يستطيع أن يحدد موطن كل نص من هذا الفصل الخاص بسهولة .

وبعد ذلك يعود مرة ثانية إلى مرحلة القراءة ونقل النصوص الخاصة بالرسالة مرتبة مصنفة بنفس الطريقة السابقة وكلما مل من القراءة ووجد أن فصلاً ما قد تضخمت مادته العلمية ، يحاول صياغته بنفس الطريقة المبدئية السابقة وهكذا حتى ينتهي من قراءة كل ما يتعلق بموضوعه .

ومن أهم ما يجب الانتباه إليه في هذه المرحلة أنه كثيراً ما تطرأ على الذهن لمحة عن فكرة أو حل لمشكلة ، أو كلمات وجمل مفيدة ومعبرة ، فمثل هذه الأشياء العارضة غالبًا ما تكون قيمة ، وهي سريعة الإفلات والنسيان كسرعتها عندما تعرض للذهن ، ولضمان الاستفادة من مثل هذه الأفكار يجب أن تدون في الحال ، وليتذكر الباحث أن كثيراً من الناس يحرصون دائماً على وجود قلم إلى جانب فراش النوم [1].

وننصح في مرحلة القراءة بما يأتي :

أولاً : الانتقاء في القراءة فليست العبرة بالكم ، وإنما بنوعية المقروء ومدى ارتباطه بموضوع البحث .

ثانيًا : اتباع الأسلوب الناقد ، لأنه لا يلزم أن يكون كل ما يطبع صحيحًا ، فهناك أخطاء كثيرة بين طيات الكتب ، وقد تكون هذه الأخطاء عفوية من المؤلف ، أو متعمدة لترويج أفكار معينة ، وفي كل الحالات فلا بد أن يقوم الباحث بوزن هذه النصوص بميزان النقد العادل الذي يميز الغث من السمين .

ثالثًا : القراءة الواسعة لما كتبه الأقدمون والمحدثون والمعاصرون في موضوعه ، وإذا كان (برنارد شو) يرى أن العبقرية هي سر الابتكار ، وأن القراءة تصدىء العقل ، فإننا نرى أن القراءة هي نصف الابتكار وأن الذكاء والعبقرية متممان لها في الكشف عن الجديد وابتكاره [2] .

---

(١) ل . ج بيكفورد وسميث ـ الدليل إلى كتابة البحوث الجامعية ص (٩١) ترجمة د . عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ـ دار الشروق ـ جدة .

(٢) راجع ص (١٨) من كتاب البحوث الأدبية ومناهجها للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ـ بيروت .

رابعًا : أن يروح الباحث عن نفسه بين فترة وأخرى ـ لكي يستعيد نشاطه ، ولذلك يقول الرسول ﷺ : « **رَوِّحُوا القلوبَ ساعة بعد ساعة ، فإنَّ القلوبَ إذا كلَّتْ عَمِيَتْ** » .

* * *

المرحلة السادسة
الصياغة

بعد أن ينتهي الباحث من جمع المادة العلمية اللازمة لبحثه ، وبعد أن يكون قد دخل محاولات في الصياغة المبدئية لبعض نقاط البحث ينتقل هنا إلى أخطر مراحل البحث العلمي ، وهي مرحلة الخلق والإبداع ، ومحاولة إظهار البحث في صورته النهائية ، بعد أن كان كماً متراكماً من المعلومات والنصوص الهلامية ، وتبدو لنا خطورة هذه المرحلة من النواحي التالية :

١ ـ أنها هي التي تحدد شخصية الباحث وفكره وقدراته ، فالمراحل السابقة قد يستوي فيها جمهور الباحثين مع تفاوت طفيف ، ولكن هذه المرحلة هي التي تحدد إمكانات الباحث وقدرته على فهم النص وحسن استخدامه ، ووضعه في مكانه المناسب ، وإدراكه لما بين النصوص من علاقات ، واستنتاجه منها أفكاراً جديدة .

٢ ـ أنها تحدد شكل البحث وقيمته النهائية ، ويترتب عليها تقدير القراء ولجان الحكم والمناقشة .

٣ ـ إن إنجاز هذه المرحلة بنجاح يعطي الدليل والبرهان على أن الباحث يستطيع أن ينجز أعمالا علمية أخرى دون الحاجة إلى توجيه أو إشراف .

مراحل الصياغة :

نستطيع أن نقسم هذه المرحلة إلى مراتب أربع :

الأولى : *الفرز والمراجعة والتصفية* :

وفيها يقوم الباحث بمراجعة كل نصوص الرسالة في كل فصل على حدة، يقف أمام النص وقفة متأنية ، وينظر إليه نظرة فاحصة مدققة ، وسوف يجد أن هناك نصوصا مكررة حول موضوع واحد ، فيحاول أن يستبعدها ؛ لأن وجودها أمامه بأحجامها وأنواعها يشكل نوعا من العبء النفسي عليه ، كما أنه سيجد أن هناك نصوصا أخرى في غير موضعها فيضعها في مكانها المناسب .

الثانية : التجزئة والتصنيف :

فالباحث الذي فهم أبعاد بحثه يستطيع أن يجزىء كل فصل إلى مباحث جزئية ، ثم يقوم بتصنيف النصوص وتوزيعها على مجموعات متجانسة بحسب أجزاء الفصول ، ففي هذه الطريقة تسهيل لمهمة الباحث وتوفيرا لوقته وجهده ، وإزالة للعبء النفسي الذي يعانيه الباحث ، وهو ينظر إلى كم هائل من الملاحظات والنصوص ، ولكنه لا يدري من أين يبدأ .

الثالثة : مرتبة الصياغة الأولى :

وهنا يقف الباحث أمام النصوص ، بعد أن يكون قد قرأها أكثر من مرة :

المرة الأولى : وهي في الكتاب ، والثانية : أثناء نقلها إلى الدوسيه ، والثالثة : وهو يفرزها ، والرابعة : وهو يصنفها . ولا شك أن الباحث بهذه القراءات المتوالية للنصوص يكون قد أدرك أبعادها ومراميها ، أو بمعنى أوضح يكون قد تم هضمها وتمثيلها في عقله ، وهو من خلال هضمها يستطيع أن يدرك أبعادها ومراميها ، وما يمكن أن ينشأ بينها من علاقات ، فيبدأ في الصياغة ويحاول الاستفادة من هذه النصوص بالطرق العلمية التي سوف نوضحها بعد قليل .

ولكننا نريد أن نؤكد على أن تطبيق هذه المراحل السابقة بدقة سوف يؤدي ولا شك إلى إنجاز بحث علمي يعبر عن كيان الباحث ، وقد يتسرع بعض الباحثين في دمج هذه المراحل أو تجاوز بعض مراحل القراءة السابقة ، إلا أن أبحاثهم سوف تخرج في صورة مهزوزة وهي ما يسميها البعض بالبحث غير المهضوم ، لأن صاحبه قد تسرع في إنجازه . فلم يقرأ نصوصه القراءة الكافية . بالتالي لم يحسن عرضها ، ولم يستطع الاستفادة منها . وعلى أية حال فنحن نعبر هنا عن طريقتنا الخاصة في إنجاز الأبحاث ، وربما كتب باحثون آخرون طريقتهم الخاصة وعلى الباحث أن يختار ما يستريح إليه من الطرق .

طرق الاستفادة من النصوص :

هناك طرق كثيرة يستطيع الباحث من خلالها أن يستفيد من المادة العلمية التي جمعها، وسوف نتحدث عن مفهوم كل طريقة منها ، وأهميتها وشروطها .

١ ـ *طريقة الاقتباس النصي* :

وهي عبارة عن نقل عبارات الكاتب بنصها دون أي تصرف فيها[١] والهدف من الاقتباس النصي ، إما : تعزيز وتدعيم لوجهة نظر الباحث في موضوع يريد إثباته ، وإما : إقامة الحجة على صاحب النص بإبراز خطئه من خلال كلامه حيث يقوم بمقارنة أو معارضة بين النصوص .

وأهمية الاقتباس النصي تعود إلى أنه يمثل « وثائق البحث »[٢] فلكي يثبت الباحث رأيًا أو يعارض رأيًا آخر ، لابد له من أدلة وبراهين ، وهذه الأدلة إما أن تكون من فكره الخالص ، وإما من النصوص الوثائقية التي يقتبسها من الغير .

شروط الاقتباس بالنص :

هناك شروط سبعة للاقتباس بالنص وهي :

أولاً : التأكد من صحة نسبة النص إلى صاحبه ، فإذا كان قد قرأه في مرجع فرعي فليعد إلى تحقيقه من خلال مصدره الأصلي ، فربما أخطأ المرجع الفرعي في النقل .

وهذا ما عبر عنه الجاحظ بقوله : « ومن خطه الذي لا أرتاب فيه نقلت عنه »[٣] .

كما عبر عنه علماء مصطلح الحديث بقواعد الرواية وشروط التحمل والأداء ومدى لتحقق من صدق النص لفظًا ومعنى ، وتفرقتهم بين الحديث الموضوع[٤] والحديث الصحيح والمتصل وغيره ، من الأنواع والقواعد العلمية التي وضعوها لتوثيق النصوص والأحاديث والتي تأثر بها علماء الغرب في دراستهم حول منهج البحث التاريخي .

ثانيًا : أن يوضع النص المقتبس بين قوسين لكي تعرف بدايته ونهايته وبذلك يتميز عن كلام الباحث ، وإذا كانت الفقرات التي يريد اقتباسها هي أيضًا مقتبسة من كتاب آخر ، فلابد من استعمال قوسين صغيرين داخل القوسين الكبيرين للإشارة إلى أن المصدر نفسه قد اقتبسها من كتاب آخر هكذا (« ......»)[٥].

---

(١) د . جابر عبد الحميد ـ مرجع سابق ص (٣٨) .
(٢) د . عبد الرحمن عميرة ـ مرجع سابق ص (٥٢) .
(٣) د . حنان سلطان ـ مرجع سابق ص (١٦٣) .
(٤) راجع ص (٢٧) جـ ١ وما بعدها من كتاب تدريب الراوي للسيوطي .
(٥) ل . ج . بيكفورد وزميله ـ مرجع سابق ص (٨٢) .

ثالثًا : ألا يزيد حجمه عن ستة أسطر مطبعية وإلا فتلغى الأقواس ، ويميز النص في الكتابة كأن يكتب ببنط أصغر من البنط الذي كتبت به الرسالة ، وتضيق المسافة بين السطور وتترك مسافة بيضاء على جانبي الصفحة .

رابعًا : إذا أراد الباحث أن يحذف شيئًا من النص لا يفيده في موضوعه ولا يخل بموضع الاستشهاد بالنص فعليه أن يضع مكان الجزء المحذوف عددًا من النقاط بين قوسين هكذا (...) .

خامسًا : لابد من مراعاة التنسيق بين النصوص المقتبسة حتى لا ينقض نص نصًا آخر، وبذلك يقع الباحث في خطأ التناقض .

سادسًا : أن يحافظ الباحث على شخصيته بين الاقتباسات[1] فلا ينقض الكلام بنصه إلا عند الضرورة وتحقيق الأهداف التي سبق أن ذكرناها – وليحذر طريقة القص واللزق التي تضيع شخصية الباحث .

هذا ويمكن للباحث أن يبرز شخصيته من خلال النصوص وذلك بما يأتي :

١ ــ التمهيد للنص المنقول بما يفيد مقصوده وأهميته في موضعه .

٢ ــ التعليق عليه وإبداء الرأي بالتأييد أو المعارضة .

٣ ــ شرح النصوص الصعبة التي لا تفهم بدون توضيح .

٤ ــ المقارنة بين النصوص في إثبات التناقض والتعارض عند كاتب معين ، أو عدة كتب من مدرسة فكرية وفلسفية واحدة .

سابعًا : وهو الأهم لابد من أن يذكر الباحث في الهامش اسم الكتاب المأخوذ منه النص واسم مؤلفه ورقم الصفحة وتاريخ الطبع ومكانه ، وإذا كان مخطوطًا فليذكر رقمه بدار المخطوطات ، واسم المكتبة التي يوجد فيها ورمزه الخاص .

٢ ــ *الاقتباس عن طريق التلخيص* :

المفروض أن الباحث إنما يبدأ من حيث انتهى غيره ، وإذًا فلابد أن يعرض في بحثه لآراء كثيرة وموضوعات متباينة ، إلا أن نقل هذه الموضوعات بنصها يخل بقيمة البحث ويجعله ضخمًا بلا مبرر ، ذلك أن الباحث ليس مجرد ناقل ، ومن هنا فلابد أن يعتمد

---

(١) راجع في هذا د أحمد شلبي ص (١٠٣) من المرجع السابق ، ود . عبد الحميد رشوان ص (١٨٣) من المرجع السابق

البلاحث في عرض أفكار الآخرين على طريقة التلخيص الذكي للمعلومات الذي يجعله يستخلص الصفحات المتعددة في سطور محدودة ويشير (فاندلين) إلى أن تلخيص المعلومات يقوم على حذف ثلث النص أو على الأقل خمسه[1].

ونرى أن هذا التحديد لا مفهوم له ، لأن الباحث بذكائه قد يركز الفكرة بحذف ثلاثة أرباع النص الموجود ، إذًا فالعبرة هنا بذكاء الباحث ومدى قدرته على الوصول إلى المطلوب بأقل العبارات وأشدها تركيزًا وإيجازًا .

ولهذه الطريقة فوائد منها :

أ – توسيع مدارك الباحث ، وإمداده بقدرات عالية على اختزال النصوص وحسن عرض الأفكار .

ب – تعطي القارىء خلاصة مركزة يقرأها في وقت بسيط ولو عاد إلى أصلها لاستغرقت منه وقتًا طويلاً .

وأيضًا عند تلخيص بعض الأفكار لابد من الإشارة إلى المرجع في نهاية الفكرة مع ذكر باقي بيانات المرجع .

٣ ـ الاقتباس بإعادة الصياغة :

فقد يكون النص مكتوبًا بطريقة يصعب فهمها ، فيحاول الباحث أن يعيد صياغته بأسلوب أكثر وضوحًا ، لذلك بشيء من التصرف أو الحذف أو الزيادة .

وهذا يتطلب من الباحث المهارة الكافية في فهم النص واستيعابه وتمثيله ، ومن ثم صياغته بأسلوبه الخاص ، وبحيث لا يخل بمقصود صاحب النص .

وتستخدم هذه الطريقة بهدف :

أ – تقليل النقول النصية في الرسالة حيث لا يوجد هناك داع .

ب – إبراز قدرات الطالب في فهم النصوص وحسن استخدامها .

جـ – الضبط والتعليق على بعض المعارف القديمة التي يلاحظ عليها الغموض ، فيلجأ الباحث إلى توضيح هذا الغموض عن طريق إعادة صياغة الفكرة بأسلوب أكثر وضوحًا[2] .

---

(١) فاندلين ـ مناهج البحث في التربية وعلم النفس في ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون ـ الأنجلو القاهرة ١٩٧٧ .

(٢) د . حنان سلطان ـ مرجع سابق ص (١٦٧) ، وقارن ص (٦٩) من مناهج البحث في التربية وعلم النفس د . جابر عبد الحميد .

والفرق بين التلخيص وإعادة الصياغة يتمثل في : أن التلخيص هو تركيز أفكار كثيرة في عبارات قصيرة ، أما إعادة الصياغة فهي إعادة سبك للنص وقد تأتي في حجم النص الأصلي أو أقل قليلاً أو حتى أكثر من حجم الأصل ، بحسب طبيعة النص[1].

التقويم والاستنتاج :

وهي أهم طرق الاستفادة من النصوص ، لأن البحث العلمي ليس مجرد نقل أو تلخيص ، فهو مهمة سهلة ، وإنما البحث العلمي الجيد هو الذي يتميز بالأصالة الفكرية ، والتي لا تظهر إلا حين يتعدى الباحث مرحلة النقل والعرض لأفكار الغير إلى مرحلة النقد والتقويم والاستنباط .

فالباحث بهذه الطريقة يتحول من جامع معلومات ، أو جماع علم - كما يقال عن البعض أحيانًا - إلى باحث أصيل لا يأخذ الأفكار على علتها ، وإنما يقومها بأسلوبه الخاص ثم يثبت فكرته الجديدة ، ويستنتج ما يمكن استنتاجه من بين السطور ، وبذلك يضيف إلى حقل المعرفة الإنسانية معارف جديدة يمكن أن ينسبها إليه الباحثون من بعده ويقولون وقال فلان من الناس .

هذه هي طرق الاستفادة من النصوص والقراءات . حين يفهمها الباحث يقوم بكتابة بحثه الكتابة الأولى في ضوءها .

وأما عن الأجزاء التي سبق أن كتبها كتابة مبدئية أثناء مرحلة القراءة ، فسوف يحاول أن يضيف إليها ما يستجد من معلومات على ضوء القراءات الجديدة ، وسوف تكون هذه الإضافة في غاية السهولة ، لأنه بفهمه لما كتب يستطيع أن يضع النص الجديد في مكانه المناسب وسط هذه الصياغة .

ولا مانع أن يعيد صياغتها مرة ثانية إذا كان الجديد من المعلومات يستدعي ذلك .

وليعلم الباحث أن هذه الصياغات ليست تضييعًا للوقت ، وإنما هو أسلوب لتوليد الأفكار ، وسوف يلاحظ الباحث الفاهم بحثه أنه كلما صاغ موضوعًا مصاغًا أضاف الجديد والجديد ، لأن كثرة الكتابة تستدعي الأفكار ، وتجعل الباحث يصل ببحثه إلى صورته اللائقة .

---

(١) د . محمد زيان عمر ـ مرجع سابق ص (٤٠٠) .

المرتبة الرابعة :

بعد أن ينتهي الباحث من كتابة رسالته في صورتها النهائية كتابة أولى ، يتركها فترة من الزمن يستريح فيها من عناء العمل ، ذلك أن الباحث في المرحلة السابقة إنما يكون كالزاهد والعارف الذي أعرض عن كل شيء سوى الله ، فقد يجلس على مكتبه شهوراً متطاولة لا يتخللها ، اللهم إلا فترات قصيرة من النوم والطعام ولا يشغله شيء عن بحثه ، ولذلك يحق له الآن أن يأخذ فترة استجمام وهدوء ، ثم يعود مرة ثانية إلى قراءة ما كتب لا بعين الرضا التي تتجاوز الأخطاء والعيوب فتزين له سوء عمله ، بل بعين السخط التي تلتمس الأخطاء والهنات وكأنه يُقَوم عمل إنسان آخر بعقلية ناقدة واعية . وسوف تبدو له بعض التعديلات، أو التغييرات الأسلوبية والمعنوية ، فيعدلها في مكانها على ظهر الورقة المقابلة ، أو يضيف ما يضيف في ورقة يلحقها بموضعها .

وبعد ذلك يعرض بحثه على مشرفه ، ولا شك أن المشرف الذي شارك الباحث كل مراحل الرسالة ، سوف تكون ملاحظاته بسيطة وشكلية ، أما المشرف الذي لم يتابع الرسالة فصلاً فصلاً ، فقد تكون له وجهات نظر في بعض النقاط ، وقد يعدل في الرسالة تعديلاً جوهريًا أو يوجه الباحث إلى قراءة كتب ظهرت أخيراً في مجال البحث أو غير ذلك من التوجيهات التي يجب على الباحث أن يستوعبها ، وينفذها . حتى يعطيه مشرفه الإذن بالطبع بعد كل ذلك يجلس لكتابة رسالته بخط واضح وبأسلوب أكثر جمالاً يراعي فيه الخصائص التالية :

١ ـ سلامة اللغة ومراعاة قواعدها .

٢ ـ تسلسل الأفكار وتنظيمها ، والترتيب المنطقي بينها ، بحيث تكون كل فكرة نتيجة لما سبق ومقدمة لما هو لاحق ، وذلك من خلال كتابة الأفكار في صورة فقرات متوالية مترابطة ، وقد عبر ابن الأثير عن هذه الخاصية فقال : « أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطه لتكون رقاب المعاني آخذة بعضها ببعض ولا تكون مقتضية »(١) .

٣ ـ البعد عن تكرار الفكرة في أكثر من موضع ، وإذا كان لابد من ذكر فكرة سابقة فليكن ذلك عن طريق الإشارة فقط مع إحالة القاريء على ما سبق ذكره من خلال الهامش

---

(١) المثل السائر جـ ١ ص (٧٢) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٥٨ .

وليعلم الباحث وهو يضع اللمسات الأخيرة في بحثه أنه ليس مهمًا أن يحتوي البحث على كم هائل من النصوص والمعلومات ، بل المهم حسن عرض هذه المعلومات وكيفية فهمها وإيصالها إلى ذهن القارىء دون تشويش أو تكرار ، وبناء على هذا فلا مانع أن يرفع الطالب من بحثه كل ما يرى أن رفعه لا يؤثر في قيمة الرسالة حتى لا يفتح على نفسه بابًا من الجدل مع السادة المناقشين .

٤ ــ أن يفتتح الأبواب والفصول بملخصات موجزة تشير إلى أهم النقاط التي سوف يتناولها ، ومنهجه في ذلك ثم يختمها بموجز لأهم النتائج ، وهنا تصبح الرسالة حلقات متسلسلة متماسكة مثل حبات العقد .

٥ ــ وضوح الأسلوب والبعد عن التعقيد والتعمية ، فالأسلوب السليم يساعد على وضوح الفكرة بعكس الأسلوب الركيك الذي يضعف الفكرة ، ويضيع المعنى الذي يقصد إليه الباحث ، وليعلم الباحث أن أسلوبه الكتابي في موضوع ما إنما يعطي صورة واقعية عن نفسه وشخصيته ولهذا فعليه أن تكون أفكاره مشرقة لامعة ، ذلك أن مما يشوه الفكرة الحية الناصعة أن تصاغ في أسلوب نثري ثقيل يطغى على الفكرة وتصبح بعيدة التناول غارقة في تعبيرات ركيكة .

ومن هنا يقول السير « آرثر كويلر كوتش » : « بقدر ما تكون واضحًا في كتابتك بقدر ما تكون مؤكدا سهولة أفكارك وفهم اتجاهاتك ، وبقدر ما تكون واضحا ، بقدر ما تستطيع أن تفهم نفسك[1] .

٦ ــ إيجاز الكلام وإيضاح الفكرة بأقصر عبارة ، مع البعد عن الإسهاب ، وليعلم الباحث أنه بين الإيجاز والتقصير خيط دقيق ، مع أن الإيجاز ميزة ، والتقصير عيبا كما أنه بين الوضوح والإسهاب نفس الخيط الدقيق والوضوح ميزة ، والإسهاب عيب[2] .

٧ ــ محاولة إبراز الأفكار الهامة في صورة تقسيمات فرعية إلى أولا ــ ثانيًا ــ ثالثًا ــ وهكذا أو إلى أ ــ ب ــ جـ ، أو الترقيم العددي ١ ــ ٢ ــ ٣ .. أو بوضع علامة (ــ) في بداية السطر قبل الفكرة .

٨ ــ الوحدة الموضوعية للرسالة معنى وأسلوبًا وهدفًا فلا ينبغي أن يختلف الأسلوب من باب لآخر ولا من فصل لآخر ، وغالبًا لا يضيع الوحدة الموضوعية للرسالة إلا كثرت اعتماد الباحث على النقول التي تؤدي إلى اختلاف الأساليب وأحيانًا اختلاف الأهداف .

وهنا ننصح بكثرة القراءة في القرآن الكريم ومحاولة قراءة بعض التفاسير وسوف

---

(١) ل . ج . بيكفورد وزميله ــ الدليل إلى كتاب البحوث الجامعية ص (٥٧) . س .

(٢) راجع كتاب « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن » ص (٣) تحقيق د . زغلول سلام وزميله .

يلاحظ في القرآن حسن الترتيب وجميل التناسب بين الآية والآية وبين السورة والسورة حتى إن القرآن كله ليشكل وحدة موضوعية[1] متماسكة ، كما سيلاحظ في القرآن العظيم إعجاز البيان والأسلوب والثروة اللغوية الهائلة ، مما سيضفي على بحثه كثيراً من عناصر الجمال الفني في التعبير .

٩ ـ استخدام علامات الترقيم وهي :

– النقطة (.) وتوضع في نهاية الجملة التامة المعنى وعند نهاية الفقرات .

– الفاصلة (،) وتوضع بعد لفظ المنادى ، وبعد الجملتين المرتبطتين في الإعراب والمعنى مثل : « إن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي سيدنا محمد رسول الله» وكذلك توضع بين الشرط والجزاء وبين القسم والجواب وبين المفردات المعطوفة إذا تعلق بها ما يطيل المسافة بينها فيجعلها شبيهة بالجملة في طولها مثل قول الرسول : « ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » .

ـ الفاصلة المنقوطة (؛) وتوضع بعد جملة ما بعدها سبب فيها .

ـ النقطتان وتوضع بين القول والمقول (:) وبين الشيء وأقسامه وقبل الأمثلة التي توضح قاعدة .

ـ علامة الاستفهام (؟) ، وعلامة الانفعال (!) .

ـ وعلى أية حال فإننا ننصح الباحث بقراءة كتاب نتيجة الإملاء فسوف يتعرف على مزيد من التفاصيل حول علامات الترقيم [2].

١٠ ـ التوثيق المرجعي لكل ما يكتب وهذا ما سوف نفصله بعد الانتهاء من توضيح الأخطاء التي ينبغي أن يتلافاها الباحث في مرحلة الصياغة .

وننصح الباحث في مرحلة الكتابة النهائية بأن يجدد نشاطه دائماً ، فكلما كتب عدداً من الصفحات استراح قليلاً ثم استأنف الكتابة ، فإن ذلك سوف يساعده على تدقيق النظر فيما يكتب، مما يفتح له المجال أمام الإضافات العلمية والتي تكون أحياناً وليدة لحظة الكتابة .

وإذا كنا قد أشرنا إلى خصائص الصياغة العلمية فإننا سوف نشير الآن إلى بعض الأخطاء التي ينبغي أن يتجنبها الباحث في مرحلة الصياغة ومنها :

١ ـ تكوين النتائج المبتسرة والتي لا تقوم على دليل واضح ، فلكي يحاول الباحث أن يثبت نتيجة ما ، لا بد أن تكون قائمة على الدليل الواضح ، وإلا فسوف تكون مجرد

---

(١) راجع ص (٧٨) من أسرار ترتيب القرآن للسيوطي .

(٢) راجع بالتفصيل الملحق الذي اختصره الدكتور أحمد شلبي من كتاب (نتيجة الإملاء) للشيخ مصطفى عناني ص (١٩٣) من كتاب أحمد شلبي السابق الذكر .

دعوى عارية عن الدليل .

٢ ـ تجاهل الأدلة المضادة ، فقد يدخل الباحث في مناقشة مع أحد الباحثين حول نظرية ما ويحاول تقويض هذه النظرية بأية صورة من أجل إثبات فكرته هو ، وهذا ما يدعوه أحيانًا إلى تجاهل الأدلة المضادة التي تهدم فكرته وتؤيد فكرة خصمه ، إذ ينبغي أن يكون هدف الباحث إثبات الحقيقة ، وليس مجرد الحوار والجدل .

ومثال ذلك أن داروين وأتباعه حينما أرادوا أن يثبتوا فكرة التطور التي تدعي بأن الإنسان متطور عن الحيوان اعتمدوا في ذلك على بعض وجوه الشبه الظاهرية بين الإنسان والحيوان في الناحية التشريحية ، ولكنهم تجاهلوا وجود الفرق والاختلاف الكثيرة من الناحيتين التشريحية والفكرية [1].

وهكذا فينبغي أن يكون هدف الباحث إثبات الحقيقة . وليس مجرد إثبات نظريته بتصيد سقط الأدلة وواهيها .

٣ ـ مراعاة المباحث المشكلة التي لم يهضمها ، ولم يجمع لها المادة المناسبة ، ولا عيب أن يحذف هذه المباحث من الكتابة النهائية حتى يعالجها فيما بعد معالجة علمية مناسبة[2].

٤ ـ الأساليب الجارحة في النقد والمناقشة .

٥ ـ استخدام العبارات التي تدل على الغرور والاعتداد الزائد بالنفس مثل وأنا أرى ـ ونحن نرى ، ونرى ـ وغير ذلك من العبارات التي يستعيذ منها المؤمن دائمًا ، لأن هذه العبارات تضفي على الرسالة طابعًا من الغرور وليستخدم بدلاً منها عبارات والواقع أن ، ويبدو أنه ، إلا أن الباحث يرى ، وغير ذلك من العبارات التي تؤدي بأسلوب سمح لا تشوبه شائبة الغرور[3].

٦ ـ التناقض في الأفكار ، حيث يثبت فكرة في موضع ثم ينقضها من حيث لا يشعر في موضع آخر .

والذي يوقع الباحث في التناقض غالبًا ـ هو مجرد نقل النصوص دون إعمال للعقل والفكر ، ودون استيعاب لكل الأفكار الواردة في الرسالة .

٧ ـ اغتصاب أفكار الآخرين وذلك بنسبتها إلى نفسه دون ذكر المرجع ، وهذا ما سوف نفصله فيما يأتي :

---

(١) راجع ص (١٢٢) من كتاب « ما أصل الإنسان » نوريس بوكاي .

(٢) د . أحمد بدر ـ مرجع سابق ص (٦٩) .

(٣) راجع ص (١٠٠) وما بعدها من كتاب الدكتور أحمد شلبي السالف الذكر .

التوثيق في البحث العلمي

الباحث الصادق الأمين لابد أن يقوم بتوثيق أفكاره وذلك بذكر المصادر التي اعتمد عليها في صياغة هذه الأفكار .

فمعنى التوثيق : إسناد الفكرة المقتبسة إلى مصدرها الأصلي[1] وهذا أبسط حقوق المؤلف وصاحب المصدر ، إلا أن بعض الكتاب اليوم لا يراعون شيئًا اسمه حق الطبع للمؤلف ، فإذا ما اقتبسوا من الكتب لا يراعون المنهج العلمي في الاقتباس فتراهم ينقلون الصفحات والفصول إما نصًا ، وإما اختصاراً أو إعادة صياغة دون إشارة إلى المرجع الأصلي الذي اعتمدوا عليه ؛ بل إن منهم من يوهم القارىء بنسبة الكلام إلى نفسه ، وهذا ما يتنافى مع أخلاق العلم وآدابه ، ويمثل أكبر العيوب عند كثير من المؤلفين .

وإذا كان هذا الأمر شائعًا بين مؤلفي الكتب والأبحاث الحرة التي لا يخضع لرقابة ولا مسائلة لأنه مَن مِن أصحاب الكتب المقتبس منها سيجري وراء من سرقوا أفكاره ونسبوها إلى أنفسهم ، ويقاضيهم ؟ أقول : إذا كان هذا الأمر يمر بلا عقاب في مجال المؤلفات العامة ، فإن الرسائل العلمية ينبغي أن تتنزه تمامًا عن هذا الأمر ، خصوصًا وأنها سوف تعرض على أساتذة مختصين يستطيعون أن يميزوا بين ما هو للباحث وما هو لغيره ، وسوف يكون أمراً مؤسفًا بحق حين يكتشف أحدهم عدم أمانة الباحث فهي جديرة برد الرسالة وعدم إجازتها ، وكثيراً ما حدث هذا .

إذًا فالتوثيق أمر ضروري في البحث العلمي ، مهما كانت استفادة الباحث من هذا المرجع ضئيلة .

وتبدو لنا أهمية التوثيق من النواحي التالية :

١ ـ فهو دليل الأصالة بالنسبة للباحث ، ذلك أن الكتاب الخالي من المراجع والمصادر سواء في الهامش أو على الأقل في نهاية الكتاب هو كتاب غير موثوق في أصالة صاحبه .

ذلك أن الإنسان مهما كان فكره وعلمه وعقله لا بد أن يعتمد على الكتب المؤلفة في الموضوع الذي يبحث[2] فيه ، أما إن يكتب لنا بعضهم كتابًا مكونًا من مئات الصفحات ثم لا يذكر في هوامشه مرجعًا واحداً ، فهذا ما لا يمكن تصوره اللهم إلا في كتب الشعر والقصص الخيالية التي تعتمد على القريحة في غالب الأحوال ، أما في الموضوعات العلمية ، فإن الأمر يختلف إذ لابد من الاعتماد على المصادر والمراجع ، وبالتالي فلابد من الإشارة

---

(١) د . حنان سلطان ـ مرجع سابق ص (١٧٤) .

(٢) ويستثنى من ذلك التفاسير وشروح الحديث وكتب الشروح للمتون والأراجيز العلمية ؛ لأ أصحابها يعتمدون على نصوص إمامهم يقومون بفهمها وشرحها .

إليها .

٢ ـ وهو دليل الأمانة فالباحث الذي يدون مراجعه في هوامش الصفحات هو باحث أمين وصادق مع نفسه لأنه يعترف بالفضل لأهله ويرده إليه ، وتعتبر الأمانة العلمية من أوليات الفضائل التي يجب أن يتحلى بها العالم والمفكر ، وسوف تكون للباحث سمعة علمية طيبة عندما يستخدم المصادر استخداماً أميناً حتى ولو كان القدر المنسوب له قليلاً بالنسبة للأجزاء الأخرى المقتبسة .

فعلى الباحث أن يكون أميناً مع نفسه ، ومع مشرفه ، ومع دراسته ، ومع قارئه وبغير هذه الصفة يستحيل أن يكون مفكراً له قيمة [1].

٣ ـ وهو أيضاً دليل العمل الجاد ، فالباحث ينبغي أن يفخر بذكر كل مرجع ، وكل مصدر يستفيد منه ، لأنه بذلك يدلل على عمله ، ومدى ما بذله من مجهودات في قراءة هذه الكتب ، ومحاولة الاستفادة منها .

٤ ـ وتبدو أهمية ذكر المراجع والمصادر من جهة أخرى وهي توجيه غيره من الباحثين إلى هذه المراجع ، فقد يستفيدون منها بطريقتهم الخاصة أو كما قال الرسول ﷺ : « رُبَّ حَامِلِ عِلْمٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ » « وَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ » « والدَّالُّ عَلَى الخَيرِ كَفَاعِله » .

إذاً فلابد على الباحث أن يشير إلى مصادره في بحثه سواء أكانت مخطوطات أم مطبوعات ، أم مقالات علمية منشورة أم محاضرات مسموعة أم مسجلة على شرائط ، أم ندوات عامة أم إذاعية أم مقابلات خاصة مع بعض العلماء المختصين إلا أنه في المقابلات والندوات والمحاضرات العامة عليه أن يأخذ إذناً من صاحبها .

التوثيق في الفكر الإسلامي :

لقد عرف التوثيق عند علماء الإسلام منذ بزوغ شمس الحضارة الإسلامية ، وهو أوضح ما يكون عند علماء الحديث وكتاب السيرة الذين لا يذكرون نصاً إلا وينسبونه إلى قائله . وقديماً قال السيوطي في المزهر : « ولذلك لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء مبيناً كتابه الذي ذكر فيه »[2] وبصرف النظر عن مدى التطبيق الفعلي عند السيوطي لعملية التوثيق ، فإن هذه الإشارة منه تدل على أن موضوع التوثيق كان معروفاً لدى علماء الإسلام ، وربما كان نص السيوطي سالف الذكر رداً على التهمة الموجهة إليه وهي : « أنه جماع علم » دون توثيق ، فراح يدافع عن نفسه بما قال ،

---

(١) ل . ج . بيكفورد وزميله ـ مرجع سابق ص (٨١) .

(٢) نقلا عن ص (١٦٧) من أساسيات البحث العلمي .

وعلى أية حال ، فإن ذلك يدل على مدى أهمية التوثيق العلمي عند علماء الإسلام إلا أنهم كانوا غالبًا ما يذكرون اسم المؤلف فقط ، وفي أحيان أخرى كانوا يذكرون اسم المؤلف واسم الكتاب بين ثنايا الكلام ، ولكن في العصور الحديثة ظهرت طرق علمية جديدة للتوثيق نوضحها فيما يلي :

أنواع التوثيق :

للتوثيق أنواع ثلاثة هي :

التوثيق من خلال المقدمة ، والتوثيق من خلال الهامش والحاشية ، والتوثيق بثبت المراجع في نهاية البحث وسوف نفصل هذه الأنواع مع توضيح طرق استخدامها :

١ ـ التوثيق من خلال المقدمة : وهو عبارة عن ذكر أهم المصادر الأساسية التي عالجت الموضوع واستفاد منها الباحث استفادة جوهرية ، وهذا النوع ليس له من الأهمية ما للنوعين الآخرين ، إذ إن كثيراً من الباحثين والكتاب يستغنون عنه باستخدام التوثيق الهامشي والنهائي .

٢ ـ التوثيق من خلال الهامش : وهو عبارة عن ذكر المصادر والمراجع في هوامش الصفحات مقرونة بمواضع النقول منها ومشفوعة بكامل بياناتها .

وقد سبق أن ذكرنا أن الباحث مطالب بذكر المرجع في الهامش عند الاستفادة من أفكار الغير أيا كانت طرق هذه الاستفادة ، ولا بد من ذكر اسم المؤلف ورقم الصفحة ورقم الجزء والمجلد إن كان ، وتاريخ الطبع ومكانه ، واسم المترجم والمحقق إن كان محققًا ، ورقم المخطوط ومكانه ورمزه إن لم يكن مطبوعًا ، وإذا كانت مجلة فليذكر اسمها ـ وعنوان المقال ، ورقم السلسلة ، وتاريخ صدورها .

كل هذه البيانات تذكر عند الاقتباس من المرجع للمرة الأولى فإن اقتبس منه مرة أخرى عقب الاقتباس الأول مباشرة ، فليكتف بعبارة (المرجع السابق) أو (نفس المرجع) مع ذكر رقم الصفحة فقط فإذا ما اقتبس من نفس المرجع اقتباساً آخر في موضع لاحق ـ غير موالي للاقتباس السابق بل فصل بينهما باقتباسات من كتب أخرى ـ فيكتفي بذكر اسم المؤلف واسم المرجع ورقم الصفحة فقط . فإذا اعتمد على كتاب واحد لمؤلف معين في أكثر من موضع فلا مانع أن يذكر عند الاقتباسات التالية اسم المؤلف فقط مع ذكر عبارة (مرجع سابق) ولكن هذا بشرط ألا يكون الباحث قد استخدم لنفس المؤلف أكثر من كتاب حتى لا يحدث لبث حول مراد الباحث من هذا المرجع .

طرق التوثيق بالهامش :

هناك طرق ثلاثة للتوثيق من خلال الهامش وهي :

١ ـ الترقيم المسلسل للصفحة : وهو أهم هذه الطرق وأكثرها شيوعاً وسهولة وفائدة ـ وهو عبارة عن وضع أرقام مستقلة لكل صفحة على حدة عند نهاية الاقتباس ، ثم يوضع نفس الرقم في الهامش مقروناً ببيانات المرجع ، كما هو النظام المتبع في هذا الكتاب.

٢ ـ الترقيم المسلسل للفصل : وهو عبارة عن إعطاء رقم مسلسل من أول اقتباس إلى آخر اقتباس في الفصل ، ثم يبدأ الترقيم من جديد لباقي الفصول .

٣ ـ الترقيم المسلسل للرسالة : ويكون بإعطاء رقم مسلسل للرسالة كلها من البداية إلى النهاية وأفضل هذه الطرق هو الطريق الأول ، وذلك نظراً لسهولة الحذف والإضافة .

ويلاحظ أن الهامش يستخدم في أغراض أخرى منها :

ـ الإشارة إلى بعض المعلومات الاستطرادية التي لا يؤثر حذفها في جوهر الرسالة بينما يكون وضعها بالصلب مخلاً باتساق الرسالة ومن هنا يذكرها الباحث في الهامش .

ـ الإحالة (من مكان إلى مكان) آخر بالرسالة لتحاشي تكرار المعلومات ، فيقول راجع ما سبق بالرسالة في ص ٣ مثلاً [١].

٣ ـ التوثيق النهائي بثبت المراجع :

وهو عبارة عن القائمة التي يجمع فيها الباحث كل المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في نهاية البحث .

ويرى بعض الباحثين أن الطالب لا يذكر في هذا الثبت إلا المصادر وثيقة الصلة بموضوعه والمذكورة في الهامش ، وعليه أن يتغاضى عن المراجع البعيدة الصلة عن الموضوع حتى ولو ذكرها بالهامش ، بينما يرى آخرون أن الباحث يستطيع أن يذكر كل ما قرأه حتى ولو لم يذكر في هامش الكتاب ما دام يغطي الموضوع العام للبحث[٢] . والذي نراه أن الباحث إنما يذكر كل ما ورد في الهوامش سواء كان جوهرياً في البحث أم فرعياً ما دام الطالب قد اطلع عليه واستفاد منه حتى لو كانت الاستفادة ضئيلة .

وليحذر الباحث من ذكر كتب لم يقرأها بالفعل ولم ترد في هوامش البحث حيث إن هذا الأمر سوف يفتح عليه باباً من المؤاخذات من قبل السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة .

---

(١) د . أحمد شلبي ص (١١٦) وما بعدها ، ولمزيد من التفاصيل حول استخدام الحواشي ، راجع ص (٤١٥) وما بعدها من كتاب ـ البحث العلمي د . محمد زيان عمر .

(٢) د . أحمد بدر ـ مرجع سابق ص (٢١٠) .

طرق التوثيق بالثبت :

هناك طرق متعددة منها :

تبويب الكتب حسب الموضوع ، فيجمع كل مجموعة حول موضوعها فهناك كتب في التاريخ وفي اللغة وفي الفلسفة وفي الاجتماع والحديث والتفسير وغير ذلك ، وعليه أن يجمعها تجميعًا موضوعيًا ثم يرتب كل مجموعة ترتيبًا أبجديًا إلا أن هذه الطريقة تشكل نوعًا من الصعوبة في الاستخدام حيث تشتمل على موضعات متباينة ، لذلك فإننا ننصح بترتيب المصادر والمراجع بالطريقة التالية :

أولاً : القرآن الكريم إن كان قد استفاد من آياته .

ثانيًا : كتب السنة النبوية إن كان قد استفاد منها .

ثالثًا : المؤلفات البشرية ويقسمها إلى الأقسام التالية :

١ ـ مطبوعات .   ٢ ـ مخطوطات .

٣ ـ رسائل علمية .   ٤ ـ مجلات ودوريات .

٥ ـ مراجع أجنبية .

ويراعي في ترتيبها الأبجدية إما بدءًا باسم الكتاب أو باسم المؤلف ، أو باسم الجد ، أو الشهرة ثم باقي بيانات المرجع التي سبق ذكرها في الهوامش تاريخ الطبع ومكانه ورقم الطبعة والجزء والمجلد واسم المحقق أو المترجم .

وبعد أن ينتهي الباحث من مرحلة الصياغة والتوثيق في صورتها اللائقة ، سوف يعطيه المشرف إذنًا بالطبع ، وهنا عليه أن يبحث عن مطبعة تتمتع بسمعة طيبة وخبرات سابقة في طبع الرسائل العلمية ، حتى تستطيع أن تخرج الرسالة في صورتها المرجوة كتابة وتنظيماً ، وبعد ذلك تبدأ مرحلة الإجراءات الرسمية ، وهي تختلف من جامعة إلى جامعة ، فبعض الجامعات تطلب مواصفات خاصة في شكل الغلاف وعدد النسخ المطلوبة ، ولذلك ننصح الطالب بالرجوع إلى قسم الدراسات العليا بكليته وسوف يخبره الموظف المختص عن كل الخطوات اللاحقة طبقًا للخطة الموضوعة لهم .

وأخيراً نوضح فيما يأتي الشكل النهائي للبحث .

الشكل النهائي للبحث

بعد إتمام كل المراحل السابقة يأتي البحث مكونًا من العناصر التالية :

أولاً : صفحة العنوان : ويكتب عليها عنوان البحث ـ وتحديد درجته العلمية (إما ماجستير أو دكتوراه) وذكر الكلية والقسم الذي يندرج تحته البحث ـ ثم اسم الباحث واسم المشرف ـ وتاريخ تقديم البحث .

ثانيًا : صفحة الشكر والتقدير : وفيها يعترف بالفضل والجميل لكل من ساعده مساعدة فعلية في إنجاز البحث بدءًا من المشرف أو الأساتذة الذين أمدوه بكتب معينة ، أو أمناء المكتبات التي اعتمد عليها ، أو الهيئات العلمية التي رشحته لبعثة داخلية أو خارجية .

ولا ينبغي أن يبالغ الباحث في الشكر والتقدير ، فهذه الصفحة يجب أن تكون اعترافًا صادقًا بالمساهمات الإيجابية التي دفعت بالبحث إلي الأمام ـ ولا ينبغي أن تكون صفحة للمجاملات .

ثالثًا : فهرس البحث : وهو عبارة عن قائمة بالعناوين الواردة بالبحث من الأبواب والفصول والمباحث الأساسية مشفوعة بأرقام الصفحات ، وبعض الباحثين يفضلون تأخير الفهرس إلى نهاية البحث ، ولا عيب في الطريقتين .

رابعًا : مقدمة البحث : تختلف مقدمة البحث من بحث إلى آخر حسب متطلبات البحث وموضوعه إلا أن هناك نقاطًا جوهرية ينبغي ألا تخلو عنها مقدمة البحث(1) وهي :

١ ـ البسملة وحمد الله : الذي وفقه إلى إنجاز هذا العمل والصلاة والسلام على معلم البشرية سيدنا محمد بن عبد الله ذلك أن كل عمل لا يبدأ ببسم الله فهو أبتر ومقطوع عن البركة والفائدة .

٢ ـ نبذة مختصرة عن أهمية التخصص العام الذي ينتمي إليه البحث والباحث .

٣ ـ أهمية البحث في هذا المجال وضرورته ، والأهداف التي يهدف إليها ، ومدى الإضافة التي سيسهم بها في السيرة العلمية كأن يكون سدًا لثغرة حقيقية في مجاله ، أو تعديلاً لأفكار خاطئة أو غير ذلك من الأهداف

٤ ـ الأسباب التي دفعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع .

٥ ـ نبذة تاريخية عن الموضوع ومدى إسهام العلماء من قبله في مجال التخصص ، وإلى أية نقطة انتهوا ، وتحديد النقطة التي سيبدأ بها من بعدهم .

---

(١) راجع ص ٨٣ وما بعدها من كتاب « كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية » د . عبد الوهاب أبو سليمان ـ دار الشروق ـ جدة ١٩٨٠ .

٦ ـ نبذة موجزة عن بعض الكتب الأساسية التي عالجت الموضوع من قبل والتي سوف يعتمد عليها اعتماداً أساسياً .

٧ ـ فروض البحث حيث يذكر الدعاوي والقضايا التي يريد أن يثبتها في بحثه .

٨ ـ منهج البحث وخطته ، ويذكر فيها المناهج التي سيتبعها في معالجة البحث ، كأن تكون المعالجة تاريخية أو موضوعية أو احصائية أو تجريبية أو غير ذلك من المناهج المعروفة ثم يوضح خطة البحث بعرض الأبواب والفصول وما دار فيها بصورة مركزة تبرز أهم مجهوداته وأعماله ونتائجه .

خامساً : تمهيد عام للبحث : يحلل فيه المفاهيم الواردة بعنوان البحث أو المصطلحات الضرورية التي سيستخدمها في بحثه دائماً .

سادساً : جوهر البحث أو موضوعه ومضمونه : وهو المادة العلمية التي صاغها من خلال الأبواب والفصول .

سابعًا : خاتمة البحث : وتحتوي على العناصر الآتية :

١ ـ خلاصة البحث : وهي اختبار آخر لذكاء الباحث حيث إنه سيعطي خلاصة موجزة لبحثه من بدايته إلى نهايته بحيث يعطي للقاريء الذي يريد أن يكتفي بأخذ نظرة سريعة على الرسالة فكرة كاملة عن محتواها .

٢ ـ نتائج البحث : وهي عبارة عن تسجيل لأهم النتائج التي وصل إليها مشفوعة بأدلتها المباشرة .

٣ ـ التوصيات : وفيها ينبه الباحث على بعض الاقتراحات التي يمكن تطبيقها في ضوء ما توصل إليه من نتائج ، كما يشير إلى الموضوعات الجديدة بالدراسة والتي ينبغي أن يقوم بها باحثون آخرون من بعده .

ثامنًا : ثبت المصادر والمراجع : وفيه يذكر كل ما اعتمد عليه في الرسالة من مصادر ومراجع مرتبة ترتيباً منطقياً في ضوء ما وضحنا سابقاً .

وبعد هذا يقوم الباحث بكتابة تقرير عن البحث يمثل صورة منظمة ومنسقة لعملية إجراء بالبحث وعليه أن يوضح في هذا التقرير ما قام به من خلال اعداده للبحث ويناقش ما توصل إليه من نتائج بصورة مفهومة من القراء والسامعين على اختلاف ميولهم ونزعاتهم ، لأنه سيعرض هذا التقرير على لجنة الحكم والمناقشة ، وسوف يسمعه الجمهور من الحاضرين فلابد أن يتحول من اللغة الأكاديمية إلى الأسلوب الواضح المفهوم .

والحمد لله أولاً وأخيراً

المؤلف/ د . سعد الدين صالح

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم .

ثانيًا : المصادر والمؤلفات البشرية :

١ ــ أبو نصر الفارابي ــ إحصاء العلوم ــ ط . القاهرة .

٢ ــ ابن النديم ــ الفهرست ــ ط . القاهرة .

٣ ــ ابن خلدون ــ المقدمة ــ طبعة عبد السلام شقرون القاهرة .

٤ ــ أبو الأعلى المودودي ــ بين يدي الشباب ــ الرياض ١٩٨٣ م .

٥ ــ أحمد عز الدين خلف الله ــ القرآن يتحدي ــ القاهرة ١٩٧٧ م .

٦ ــ د . أحمد جمال الدين ظاهر و د . محمد زياده ــ البحث العلمي ــ دار الشروق ١٩٧٩ م .

٧ ــ د . أحمد شلبي ــ كيف تكتب بحثًا أو رسالة ــ القاهرة ١٩٨٣ م .

٨ ــ د . أحمد عبد الوهاب ــ أساسيات العلوم الذرية الحديثة في التراث الإسلامي ــ القاهرة ــ مكتبة وهبة .

٩ ــ د . أحمد بدر ــ أصول البحث العلمي ومناهجه ــ الكويت .

١٠ ــ السيوطي ــ أسرار ترتيب القرآن ــ القاهرة .

١١ ــ السيوطي ــ تدريب الراوي ــ القاهرة .

١٢ ــ د . جابر عبد الحميد ، د . خيري كاظم ــ مناهج البحث في التربية وعلم النفس ــ القاهرة ١٩٧٨ م .

١٣ ــ د . حنان عيسى سلطان ود . غانم الشريف ــ أساسيات البحث العلمي ــ دار الشروق بجدة ١٩٧٩ م .

١٤ ــ د . حسين عبد الحميد رشوان ــ ميادين علم الاجتماع ومناهج البحث العلمي ــ القاهرة ١٩٧٧ .

١٥ ــ حاجي خليفة ــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ــ القاهرة .

١٦ ــ د . خليل الجر وزميله ــ تاريخ الفلسفة العربية .

١٧ ــ د . زكي نجيب محمود ــ المنطق الوضعي ــ القاهرة .

١٨ ـ د . زغلول سلام ـ تحقيق كتاب : « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن » .

١٩ ـ رينه ديكارت ـ مقال عن المنهج ـ ترجمة الخضري ـ القاهرة ١٩٣٠ م .

٢٠ ـ د . رفقي زاهر ـ أعلام الفلسفة الحديثة ـ القاهرة ١٩٧٩ .

٢١ ـ د . سعد الدين صالح ـ المنطق واتجاهاته ـ القاهرة ١٩٨٣ م .

٢٢ ـ د سعد الدين صالح ـ العقيدة الإسلامية ـ القاهرة ١٩٨٣ م .

٢٣ ـ د . شعبان عبد العزيز خليفة وزميله ـ الفهرسة الوصفية للمكتبات ـ القاهرة ١٩٨٠ م .

٢٤ ـ د . شوقي ضيف ـ البحث الأدبي ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٦ م .

٢٥ ـ د . صلاح عبد القادر البكري ـ القرآن وبناء الإنسان ـ السعودية ١٩٨٢ .

٢٦ ـ د . عبد الرحمن عميرة ـ أضواء على البحث والمصادر ـ الرياض ١٩٨٠ م .

٢٧ ـ د . عماد الدين خليل ـ تهافت العلمانية .

٢٨ ـ د . عبد الرحمن بدوي ـ مناهج البحث العلمي ـ القاهرة ١٩٦٣ .

٢٩ ـ عوض الله جاد حجازي ـ المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم ـ القاهرة.

٣٠ ـ د . علي سامي النشار ـ المنطق الصوري ـ الاسكندرية ـ منشأة المعارف .

٣١ ـ علي عبد العظيم ـ فلسفة المعرفة في القرآن الكريم ـ القاهرة .

٣٢ ـ عبد الستار الحلوجي ـ مدخل لدراسة المراجع ـ القاهرة ١٩٧٤ م .

٣٣ ـ فان دالين ـ مناهج البحث في التربية وعلم النفس ـ القاهرة .

٣٤ ـ كمال بنيامين مطر ـ العلم والمنطق والإيمان ـ القاهرة ـ مكتبة الأنجلو .

٣٥ ـ د . محمد زيان عمر ـ البحث العلمي مناهجه وتقنياته ـ جدة ١٩٨٣ م .

٣٦ ـ د . مصطفى الشكعة ـ مناهج التأليف عند العلماء العرب ـ بيروت ١٩٨٢م.

٣٧ ـ د . محمد عبد الهادي الفضلي ـ تحقيق التراث ـ مكتبة العلم ـ بجدة .

٣٨ ـ د . محمد غلاب ـ الفلسفة الشرقية ـ القاهرة .

٣٩ ـ د . محمد سعدي المقدم ـ شواهد العلم في هدي القرآن ـ القاهرة ١٩٥٠ م.

٤٠ ـ د . محمود زيدان ـ الاستقراء والمنهج العلمي ـ القاهرة ١٩٨٠ م .

٤١ ـ د . محمد عماد الدين إسماعيل ـ المنهج العلمي وتفسير السلوك ـ القاهرة ١٩٠٧ م .

٤٢ ـ محمد بن أبي بكر الرازي ـ مختار الصحاح ـ دمشق ١٩٨٣ م .

٤٣ ـ د . محمد المبارك ـ الإسلام والفكر العلمي ـ دار الفكر ـ بيروت .

٤٤ ـ د . محمد عبد الرحمن مرحبا ـ أينشتاين والنظرية النسبية ـ دار القلم ـ بيروت .
٤٥ ـ د . ماهر حماد ـ علم المكتبات ـ جدة ١٩٧٦ م .
٤٦ ـ د . محمود حمد زقزوق ـ المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ـ القاهرة .
٤٧ ـ ملف ديوي ـ التصنيف العشري الموجز ـ ترجمة فؤاد إسماعيل فهمي .
٤٨ ـ موريس بوكاي ـ ما أصل الإنسان ـ ترجمة : مكتبة التربية لدول مجلس التعاون .
٤٩ ـ محمد ناصر السويدان ـ التصنيف في المكتبات العربية ـ الرياض ١٩٨٢ م .
٥٠ ـ نديم الجسر ـ قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن .

هذا عدا بعض المراجع الأخر التي وردت بهامش الكتاب .

الفهـرس

الموضـــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

صدر حديثاً

تحذير أهل الإيمان

عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن

تأليف

الشيخ أبي هبة الله إسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني

الأسعردي الأزهري السلفي

حققه وضبط نصه، وعلق عليه، وخرج أحاديثه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

ومعه

مقدمات علمية عقدية في مسألة الحكم والحاكمية

جذور البلاء

الفتن - الزلازل - المحن

تأليف
«أبو معاذ»
محمود بن إمام بن منصور

مكتبة الصحابة
جدة - الشرقية
فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

رقم الايداع : ٩٩١٧ / ١٩٩٣
طبع بدار نوبار للطباعة

